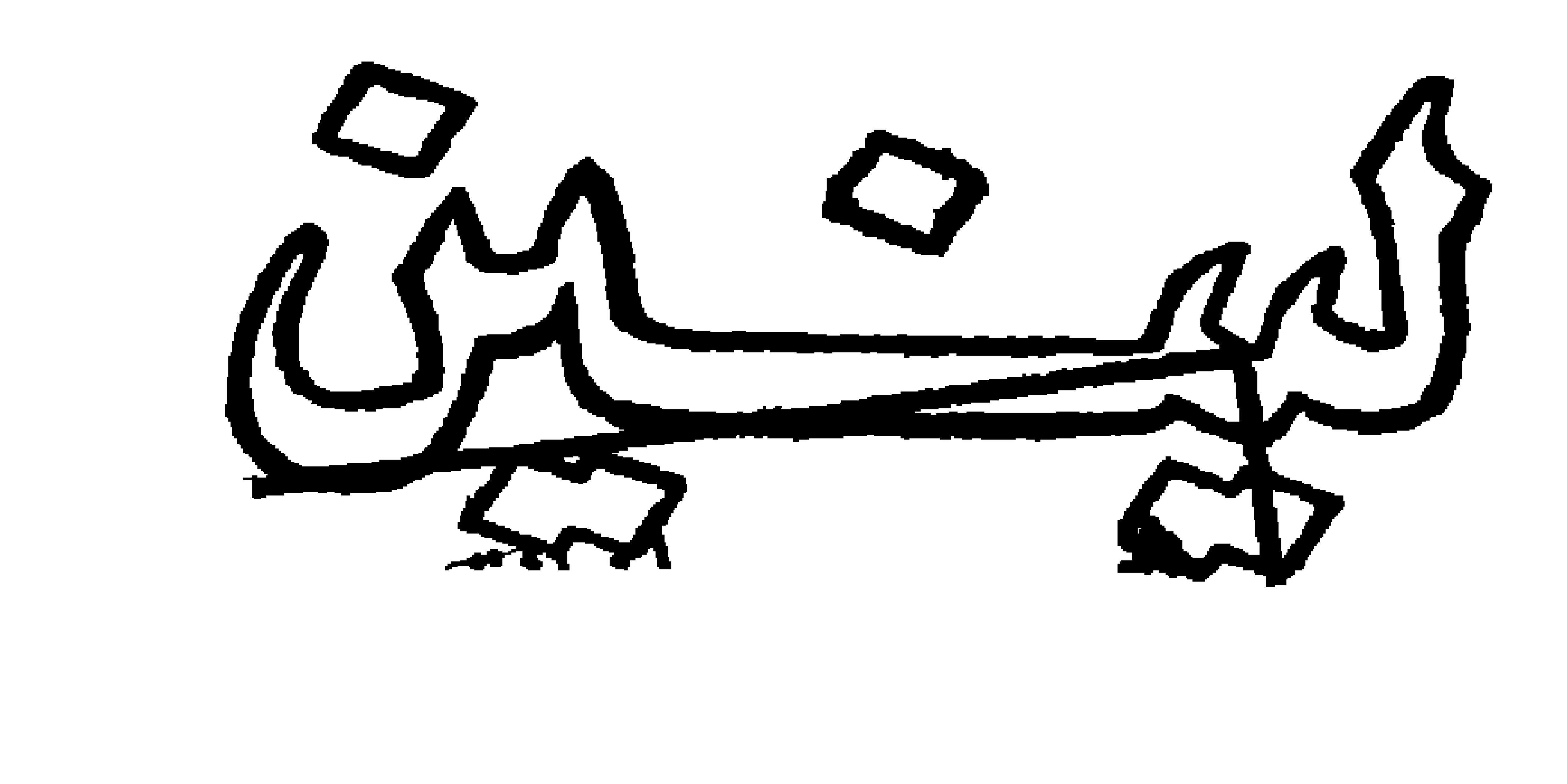



يمين

ان فلاديمير لينين هـو ، بنظر البشرية ، مرشـد وعبقرى شغيلة العالم بأسره ومنظم الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي ومؤسس الدولة السوفياتية ومفكر وثوري بروليتارى عظيم جدا وفي الوقت ذاته انسان بسيط وودود .

الطفولة والشباب . بداية النشاط الثورى

ولد فلاديمير ايليتش أوليانوف (لينين) فى عائلة روسية من المثقفين الطليعيين فى ١٠ (٢٢) أبريل ١٨٧٠ فى سيمبرسك (أوليانوفسك اليوم) ، وهى مدينة قائمة على ضفة الفولجا .

وكان ثمة ستة أولاد فى عائلة أوليانوف : آنا ، والكسندر ، وفلاديمير ، وأولجا ، وديمترى ، وماريا ، وقد بذل الابوان جهدهما لجعل ابنائهما مجدين ، شرفاء متواضعين ، مهتمين بحاجات الشعب . وقد أصبح جميع أولاد أوليانوف ثوريين . وفى مايو عام ١٨٨٧ أعدم الابن الاكبر الكسندر لاشتراكه فى اعداد مؤامرة لاغتيال القيصر اسكندر الثالث .

كانت طباع ومفاهيم لينين الشاب تتكون تحت تأثير التربية فى العائلة ، والمؤلفات الروسية الطليعية، ومراقبة الحياة المحيطة به . وكان تعسف الحكومة القيصرية ، والاضطهاد الذى يمارسه الملاك العقاريون والراسماليون ، والاستعباد والبؤس اللذان يعانيهما العمال والفلاحون ، تؤجج عند الشاب الحقد على ممارسى الاضطهاد ، والعطف على ضحاياه .

واخذ لينين منذ يفوعته يدرس الماركسية فى عمق. وعند بلوغه السابعة عشرة ، انخرط فى طريق النضال الثورى ضد حكم القيصر المطلق . وفى بدء كانون الاول عام ١٨٨٧ فصل من جامعة قازان لاشتراكه فى اجتماع ثورى طلابى ، واعتقل وابعد الى قرية كوكوشكينو من مقاطعة قازان (قرية لينينو اليوم) . ومنذ ذلك الحين أخذت الشرطة تراقبه، وكان يقرأ كثيرا فى كوكوشكينو ويقوم بالدراسة بمفرده ، وقضى فى قازان عام ١٨٨٨ وشتاء ١٨٨٨ - ١٨٨٩ . وكان يريد أن يلتحق مجددا بالجامعة لكن طلبه قوبل بالرفض .

وكانت اقامة لينين فى سمارا (كويبيشيف اليوم) فى الاعوام ١٨٨٩-١٨٩٣ ، مرحلة هامة فى حياته ، وفترة تجميع للقوى قبل الانخراط فى الطريق الواسعة للنضال الثورى . وهناك تكونت نهائيا مفاهيمه الماركسية والشيوعية . وأصبح لينين تلميذا امينا مكملا لقضية ماركس وانجلس العظمى .

لكن سمارا كانت ضيقة جدا بالنسبة لنشاط لينين الثورى .

فى أغسطس ١٨٩٣ غادر لينين سمارا قاصدا بطرسبرج، حيث قام بالاتصال بحلقة من الطلبة الاشتراكيين الديمقراطيين (غ. كراسين وغ. كرجيجانوفسكى وس. رادتشنكو وغيرهم) ، والاتصال بالعمال الطليعيين الذين كان يمتاز من بينهم بصورة خاصة أ. بابوشكين . وقد علم العمال المسائل الاساسية للماركسية فى حلقات نشأت ثوريين دؤوبين .

وفى عام ١٨٩٤ كتب لينين مؤلفا هاما بعنوان « من هم « أصدقاء الشعب » وكيف يناضلون ضد

الاشتراكيين الديمقراطيين ؟ » . كان مؤلفا موجها ضد الشعبيين وهم جماعات من المثقفين الثوريين الذين كانوا يعتبرون أن الراسمالية لن تتطور فى روسيا ، بل ان روسيا ستتبع طريقا خاصة ، تختلف عن تلك التى اتبعتها البلدان الاخرى . وكانوا ينكرون الدور التاريخى للطبقة العاملة ، ويرون بأن الفلاحين هم القوة الثورية الرئيسية ويريدون انهاضهم للنضال ضد الحكم القيصرى المطلق . ولأجل تنظيم الفلاحين، كان المثقفون الثوريون يذهبون الى الشعب ، فى الارياف ، ومن هنا نشأ اسمهم « الشعبيون » . ولم يكن الفلاحون يصدقون كثيرا تنبؤات الشعبيين .

فى هذا المؤلف ، لم يقتصر عمل لينين على انتقاد آراء «الشعبيين» الايديولوجية ، بل كان بين الماركسيين الروس ، أول من أثبت بعمق الدور التاريخى الطبقة العاملة فى روسيا كقوة ثورية قياديةطليعية للمجتمع. كان لينين أول من صاغ الفكرة العظيمة ، فكرة تحالف الطبقة العاملة والفلاحين ، الذى ــ أى هذا التحالف ــ كان يستحيل بدونه الاطاحة بالقيصرية ، وبالملاك العقاريين ، والبورجوازية ، واقامة حكم الطبقةالعاملة وانشاء مجتمع جديد شيوعى .

وقد كتب لينين فى نفس العام مؤلفه « المحتوى الاقتصادى للنزعة الشعبية ، وانتقاد السيد ستروفيه لها فى كتابه » . وعمل لينين هذا كان موجها ليس فقط ضد الشعبيين بل أيضا ضد «الماركسية الشرعية» وكان « الماركسيون الشرعيون » مثقفين برجوازيين يتكلمون عن الماركسية فى الصحف المسموح بها من قبل

الرقابة القيصرية . وكانوا فى سعيهم لتكييف الماركسية مع مصالح البورجوازية ، ينبذون طابعها الثورى .

وكان لينين يمارس العمل الثورى بأسره بعزم وحماسة . وبقيامه بالدعاية الماركسية بين العمال . كان يكتب لهم المناشير ، والمقالات ، والكراريس ، وكان يكتب بأسلوب واضح وبسيط لكى يستطيع القارىء الاقل اطلاعا أن يفهم المقصود من الكتابة . وكان لينين يوضح حالة العمال وأوضاعهم التى يرثى لها ، والذين يتعرضون لاستثمار وحشى من قبل الراسماليين ، وكان يوضح كيف أن على الطبقة العاملة أن تناضل من أجل تحررها .

ان معرفة عميقة بالماركسية ، والقدرة على تطبيقها على الظروف الروسية ، والايمان الذى لا يتزعزع بانتصار القضية العمالية ، ومواهب مرموقة كمنظم ، جعلت من لينين الزعيم المعترف به لماركسيى بطرسبرج .

وفى خريف ١٨٩٥ وحد لينين الحلقات الماركسية فى بطرسبرج فى منظمة سياسية واحدة ، هى «الاتحاد للنضال من أجل تحرير الطبقة العاملة» . وكان ذلك جنين حزب عمالى ماركسى ثورى فى روسيا يعتمد على حركة عمالية جماهيرية . وكانت مأثرة الاتحاد أن مناضليه انتقلوا من الدعاية للماركسية فى حلقات صغيرة الى التحريض السياسى بين جماهير العمال الواسعة . لكن هذه المنظمة لم تعش طويلا . ففى ديسمبر من العام نفسه ، جرى اعتقال كثير من قادتها ، وأولهم لينين .

وسجن لينين فى سجن بطرسبرج ، وظل فيه ما يزيد عن ١٤ شهرا ، وحيدا فى زنزانة ، ولكن ذلك لم يحل

دون مواصلته نشاطه الثورى . فكان يكتب كراريس وبيانات للعمال طبعت سرا .

فى فبراير عام ١٨٩٧ نفى لينين لمدة ثلاث سنوات الى سيبيريا ، الى قرية شوشنسكويه ، ناحية مينوسينسك ولاية بنيسيسك (اقليم كراسنويارسك اليوم) . بعد ذلك بعام ، لحقت به الى هناك ناديجدا كروبسكايا ، التى كان قد تعرف اليها لدى نشاطاته الثورية فى بطرسبرج عام ١٨٩٤ . وقد أدينت هى ايضا فى قضية « الاتحاد للنضال من أجل تحرير الطبقة العاملة » . وبصفتها خطيبة لينين ، رخص لها بقضاء مدة عقوبتها فى شوشنسكويه . وهناك اقترنت بلينين ، وظلت حتى أيامه الاخيرة صديقة حميمة له ، ورفيقة ومساعدة مخلصة .

وأثناء نفيه فى شوشنسكويه ، صاغ لينين مشروع برنامج للحزب ، وكتب اكثر من ثلاثين مؤلفا ، وأنهى تأليف كتابه الضخم « تطور الراسمالية فى روسيا » الذى احدث تأثيرا هائلا على مجمل الحركة الاشتراكية الديمقراطية فى روسيا . وبالرغم من بعد المسافة استطاع لينين ان يقيم اتصالات مع الاشتراكيين الديمقراطيين فى بطرسبرج وموسكو والخارج .

فى ذلك لحين ، وتحت تأثير بعض النجاحات المحرزة بالاضراب ، اخذ قسم من الاشتراكيين الديمقراطيين الروس يقنع العمال بخوض نضال اقتصادى فقط لاجل زيادة الاجور ، وتخفيض يوم العمل ، وتحسين شروط العمل . وكانوا يؤكدون بأن النضال السياسى هو شأن البورجوازية . وكان هؤلاء الاشتراكيون الديمقراطيون يسمون « اقتصاديين » .. وقد رأى لينين خطرا جديا

فى نشاط « الاقتصاديين » : فقد كانوا يدفعون الطبقة العاملة الى المصالحة مع البورجوازية ، ويحطون من دورها الثورى . وكان « الاقتصاديون » الانتهازيين الاوائل فى الحركة العمالية فى روسيا ، الذين كانوا يجهدون لاخضاع مصالح البروليتاريا لمصالح البورجوازية .

فى صيف عام ١٨٩٩ ، وبعد أن تلقى من بطرسبرج وثيقة تعرض مفاهيم « الاقتصاديين » ، كتب لينين « احتجاج الاشتراكيين الديمقراطيين فى روسيا » . أن ١٧ ماركسيا ، كانوا منفيين قد أيدوه بالاجماع ، ووقعوه . وقد فضح لينين فى هذه الوثيقة الافكار الخاطئة والضارة بقضية العمال ، التى كان يدعو اليها « الاقتصاديون » . وعين المهمات الاساسية للاشتراكيين الديمقراطيين الروس .

فى المنفى ، صاغ لينين مخططا لانشاء حزب ماركسى فى روسيا ، وكانت الرجعية القيصرية تعيث ظلما واستبدادا وحشيا ، وكان ينبغى العمل بصورة سرية . وكان مخطط لينين يرتكز على فكرة تأسيس جريدة سياسية لعموم روسيا . وهذه الجريدة كان ينبغى أن تجمع اللجان والجماعات الاشتراكية الديمقراطية الموجودة فى البلاد ، على أساس مبادىء الماركسية الثورية وبذل الجهود فى جميع المجالات لاعداد عقد مؤتمر للحزب ، وصياغة برنامج موحد للحزب ونظامه الداخلى .

ولدى انتهاء مدة نفيه ، غادر لينين شوشنسكويه مع عائلته يوم ٢٩ يناير ١٩٠٠ .

وكانت الحكومة القيصرية قد حظرت على لينين العيش فى عاصمة البلاد ومراكزها الصناعية . ولكى يكون أقرب الى بطرسبرج ، قرر أن يسكن فى بسكوف .

مؤسس الحزب وزعيمه

منذ أن أطلق سراح لينين ، كرس كل نشاطه لتحقيق المشروع الذى كان قد وضعه نصب عينيه : وهو تأسيس جريدة . الا أن الاقامة فى روسيا كانت تغدو متزايدة الخطر بالنسبة له أكثر فأكثر . وبسبب ملاحقات الشرطة ، كان حينئذ من المستحيل تقريبا تأسيس جريدة عمالية ثورية . وقرر لينين أن يصدر هذه الجريدة فى الخارج .

وفى ١٦ يوليو ١٩٠٠ ، سافر الى المانيا،حيث صمم على أن يصدر فيها جريدة تسمى « ايسكرا » (أى « الشرارة ») . وقد اعتمدت كتصدير هذه العبارة التنبئية : « من الشرارة يندلع اللهيب » وكانت اعداد « ايسكرا » تحمل سرا الى روسيا بواسطة لينينيين ثوريين كان بينهم مناضلون بارزون امثال أ. بابوشكين و ن. بومان و س.غوسيف وت. زيليكسون — بوبرو فسكايا ور. زيمليانشكا وم. كالينين و ف. كتسخوفيلى وم. ليتفينوف وا. ستاسوفا وغيرهم .

واصبح لينين الروح المحركة للجريدة ، ورئيسها وواحدا من أنشط محرريها . وفى ربيع ١٩٠٢ انتقل مع اعضاء هيئة التحرير الآخرين الى لندن ، حيث نقل اصدار « الايسكرا » واثر ذلك الى جنيف .

وبصورة فعلية ، لعبت « ايسكرا » دورا حاسما فى انشاء الحزب . وقد نشر لينين كثيرا من مقالاته

فى الـ « ايسكرا » وفى « زاريا » (الفجر) ، وهى الصحيفة النظرية الناطقة بلسان الحركة الاشتراكية الديمقراطية . وفى الوقت نفسه ، صيغ مشروع اصلاح زراعى للمؤتمر الثانى للحزب . ان كراسه « الى الفلاحين الفقراء » قد لعب دور دعائيا كبيرا فى شرح برنامج الحزب . وكان هذا الكراس يشرح ببساطة وبصورة مفهومة ماذا يريد الحزب العمالى . ولماذا يحتاج الفلاحون الفقراء الى التحالف مع العمال . وقد حدد فيه الاشتراكية ، كتب يقول : « نحن نريد اقامة تنظيم أفضل للمجتمع ، وفى هذا المجتمع الجديد، الافضل ، لاينبغى أن يكون بعد ، لا أغنياء ولا فقراء ،بل على الجميع أن يعملوا . ولن تعود حفنة من الاغنياء ، بل جميع الذين يعملون هم الذين يجب أن يتمتعوا بثمار جهد الجميع . ويجب أن تخفف الماكينات والتحسينات الاخرى عمل الجميع ، وليس أن تغنى البعض على حساب ملايين وعشرات الملايين من الناس . هذا المجتمع الجديد ، هذا المجتمع الافضل ، يسمى المجتمع الاشتراكى ، والنظرية التى تتحدث عن هذا المجتمع تسمى الاشتراكية »

« ما العمل » هو مؤلف مرموق كتبه لينين عام ١٩٠٢ ويعرض فيه لينين بصورة مفصلة مخطط بناء حزب ماركسى بروليتارى ، ويظهر دوره كقوة قيادية للطبقة العاملة .

وكان لينين يفكر فى انشاء حزب بروليتارى ثورى حقا ، يختلف عن أحزاب الاممية الثانية ، ويكون قادرا على تنظيم وقيادة الطبقة العاملة الروسية للهجوم على الحكم القيصرى المطلق والراسمالية . ولاجل ترهم

الحركة العمالية ، كان على الحزب أن يتسلح بنظرية ثورية طليعية ، هى الماركسية . وهو يحمل هذه النظرية الى الحركة العمالية ويعطيها بذلك وعيا اشتراكيا . وكان لينين يشير بقوله مقدرا دور النظرية الماركسية : « بدون نظرية ثورية ، لا حركة ثورية » .

لقد كان لينين يمنح كثيرا من الوقت لاعداد المؤتمر الثانى للحزب ، وقد صاغ مشروع النظام الداخلى للحزب ، ودرس المخطط التنظيمى لاعمال المؤتمر ، واعد مشاريع القرارات ، وعندما اجتمع المؤتمر فى عام ١٩٠٣ اشترك اشتراكا نشيطا فى ادارته وفى أعماله .

ولم يكن فى المؤتمر انصار لينين وحدهم ، بل كان فيه ايضا انتهازيون وثوريون غير دائبين ، ولم يكونوا موافقين ، تماما ، على مخطط لينين لتنظيم الحزب . وقد عارض تروتسكى مع مارتوف وانتهازيين آخرين مبدأ التنظيم الذى اقترحه .

واوجد بحث البرنامج ايضا مجالا لمناقشة ضارية . لقد هاجم البوند (١) والـ « اقتصاديون » ومعادون آخرون للينينية ، سوية ، مبادئه الاساسية . ودعمهم تروتسكى فى الواقع . وعارضوا جميعا موضوع دكتاتورية البروليتاريا . لكن الاكثرية أيدت البرنامج الذى أعدته هيئة تحرير جريدة الـ « ايسكرا » وصادق المؤتمر عليه . كان هذا البرنامج ، فى ذلك العهد ، هو البرنامج الوحيد الذى قدمه حزب يجعل النضال من

---

(١) كان البوند (الاتحاد العام للعمال اليهود فى ليتوانيا وبولونيا وروسيا) يضم بصورة رئيسية العناصر شبه البروليتارية فى المناطق الغربية من روسيا . وكان البوند يدعم الانتهازيين فى قلب الحزب .

أجل ديكتاتورية البروليتاريا بمثابة مهمة أساسية للحزب البروليتاري . وباستيحائه هذا البرنامج ، كان الحزب يناضل بنشاط من أجل انتصار الثورة الاشتراكية في روسيا .

لدى الانتخابات الى اللجنة المركزية ، ولهيئة تحرير الـ « ايسكرا » ، حصل أنصار لينين على أكثرية الاصوات . ومنذ ذلك الحين ، سموا بلاشفة (أصحاب الاكثرية) في حين سمي الانتهازيون ، الذين حصلوا على الاقلية مناشفة (أي أصحاب الاقلية) . هكذا تشكل عام ١٩٠٣ في المؤتمر الثاني حزب بروليتاري من طراز جديد ، هو الحزب البلشفي اللينيني. وكتب لينين فيما بعد : « ان البلشفية موجودة كتيار للفكر السياسي وكحزب سياسي منذ عام ١٩٠٣ » . وقد تحدث لينين في كتابه « خطوة الى الامام ، خطوتان الى الوراء » عن أعمال المؤتمر الثاني للحزب، والخلافات التي ظهرت فيه ، والتصرفات الانشقاقية للمناشفة بعد المؤتمر .

بعد المؤتمر الثاني وخلال سنين طويلة ، جرى صراع عنيد بين البلاشفة والمناشفة . وكان هؤلاء الآخرون يريدون أن يجروا الحزب الى طريق الانتهازية . لكنهم لم ينجحوا في ذلك . وكان لينين يسهر بيقظة على الحزب الثوري الذي أنشأه وعلى المصالح الاساسية للطبقة العاملة . وكان لينين يقود لجان الحزب مباشرة ويوجه اليها الرسائل ، شارحا لها بالتفصيل كيفية العمل في جميع الظروف ، في فترات النهوض والتراجع الثورية . وكان يشترك بأنشط شكل ممكن

فى اعداد المؤتمرات وفى أعمالها . وقدم لينين التقارير الرئيسية الى المؤتمرات الثالث (١٩٠٥) والرابع(١٩٠٦) والخامس (١٩٠٧) للحزب . وكان يطلع الجماهير العمالية الواسعة على الصراع الذى كان يدور فى المؤتمرات بين البلاشفة والمناشفة ، ويكتب الكراريس والمقالات . ففى عام ١٩٠٥ ، ظهر كتابه « خطتان للاشتراكية الديمقراطية فى الثورة الديمقراطية » . وفى هذا المؤلف ، كما فى أعمال أخرى تتعلق بفترة ثورة ١٩٠٥ ـ ١٩٠٧ ، صاغ لينين سلسلة مسائل جديدة تماما ، تتعلق بخطة (تكتيك) الحزب :الحكومة الثورية المؤقتة وموقف الاشتراكية الديمقراطية الثورية أزاءها ، الديكتاتورية الثورية للبروليتاريا والفلاحين ومهماتها أثناء الثورة . الاعداد للانتفاضة المسلحة ، مصادرة أرض الملاك العقاريين وتأميمها اثر ذلك .

كان لينين والبلاشفة يعتبرون الثورة التى بدأت فى روسيا فى يناير سنة ١٩٠٥ بمثابة ثورة بورجوازية ديمقراطية . وكانت مهمتها تقوم فى التخلص من بقايا نظام القنانة ، والاطاحة بالقيصرية والظفر بالحريات الديمقراطية . وقد أوضح لينين ، وكان أول من حقق ذلك فى تاريخ الماركسية ، مسألة خصائص الثورة الديمقراطية البورجوازية فى عصر الامبريالية ، وخصائص قواها ـ أى هذه الثورة ـ المحركة وآفاقها . وكان لينين يرى ان للبروليتاريا مصلحة فى الانتصار التام للثورة البورجوازية ، لان هذا الانتصار يقرب ويسهل نضال البروليتاريا من اجل الاشتراكية . بل وأكثر من ذلك . فان البروليتاريا

بالذات هي التى عليها أن تصبح القوة المحركة الأساسية للثــورة ، وقائدتها ، والفلاحون ذوو المصــلحة فى مصادرة أراضى الملاك العقاريين والاطاحة بالقيصرية ، هم حلفاء البروليتاريا . وعلى هذا النحو ، فان اتساع الثـورة كان يتوقف على سـلوك قوتيهـا المحـركتين الاساسيتين ، البروليتاريا والفلاحين . أما بصـدد البورجوازية الروسية ، فكانت تؤيد بقـاء القيصرية ، ولم يكن بوسعها ، أى البورجوازية ، من حيث طبيعتها الطبقية ، أن تكون ثورية . لذلك كان البلاشفة يرون أنه يجب ابعاد البورجوازية وعزلها .

لقد أكد مجرى الاحداث الثورية الافكار اللينينيـة تأكيدا تاما .

لقد كانت الثورة الروسـية الاولى شـعبية بقواها المحركة ، وقد قادتها الطبقة العاملة التى كان يحالفهـا الفلاحون . وبالنسبة لطرائق النضال ، فقـد حدده لينين على أنه بروليتـارى (انتفاضـات مسلحة ، اضرابات ، الخ .) . ولكن بالرغم من النضال الباسل للطبقة العاملة ، التى استثارت انتفـاضة مسلحة فى موسـكو ومدن كبيرة أخرى ، وبالرغم من النضـالات الهامة للفلاحين ، ضد الملاك العقاريين ، فقد سحقت القيصرية الثورة ، وفى نهاية عام ١٩٠٧ اضطر لينين لمغادرة روسيا ، نحو جنيف بادىء بدء ، ثم الى باريس . ان هزيمـة ثورة ١٩٠٥ ــ ١٩٠٧ لم تحطـم ارادته النضالية . وبقوة وعزم متجـددين عمل فى الحزب واضـطلع باعداد ثورة جديدة . وكان لينين على يقين راسخ بأن هزيمـة البروليتـاريا والفلاحين لم تـكن

الا مؤقتة، وان انتصارهم على الحكم المطلق كان محتوما لا مرد له .

وخلال الفترة الرجعية التى استمرت ما بين أعوام ١٩٠٧ و١٩١٠ ، هذه السنوات الرهيبة التى بدا كأنها عمرت دهورا ، لم يكن لينين يفكر الا بانتصار الثورة المقبل . وكان يستشف هذا الانتصار . وكان ايمانه المفعم حرارة وحماسة ينتقل الى الاخرين .

فهم لينين ، منذ بدء نشاطه الثورى ، فهما جيدا جدا أهمية استيعاب الفلسفة الماركسية بالنسبة للاشتراكيين الديمقراطيين ، ولكن لم يكن قد بقى له الوقت ولا القوى لاجل الاهتمام بالدراسات الخاصة فى هذا الصدد . بيد أن انتشار التيارات المعادية للفلسفة الماركسية ، بما فى ذلك لدى بعض الماركسيين المترددين فى عهد انتصار الرجعية قد حمل لينين على الاهتمام جديا بمسائل الفلسفة ،فوضع مؤلفه الفلسفى الرئيسى « المادية ومذهب النقد التجريبى » . وفى هذا العمل ، فضح لينين خصوم الماركسية ، وأبرز الطابع الرجعى للفلسفة المثالية البورجوازية وبين أن ثمة صلة وثيقة بين الفلسفة والسياسة ، وأن الماركسية وحدة لا انفصام لها بين النظرية العلمية والممارسة الثورية .

وعلى الصعيد السياسى ، ناضل لينين بصورة رئيسية ، فى ذلك العهد ، من أجل صيانة تنظيم للحزب الثورى ، سرى ، ضد المناشفة الذين كانوا يريدون الغاء الحزب السري وابداله بمنظمة اصلاحية شرعية جدا ، متكيفة مع النظام القيصري .

وكان تروتسكى ، بحجة نضـــاله ضـد النشاط الانشقاقى ، يساعد المناشفة بقوة . وفى ذلك العهـد بالذات وصف لينين تروتسكى بأنه «انشقاقى عريق» وقائم بدور يهوذا . وفى الوقت نفســه ، كان لينين يخوض نضالا لا يتزعزع ضـــد « اليساريين » الذين كانوا ينفون ضرورة الافادة من الامكانات الشرعية ، بما فى ذلك الامكانات التى توفرها الدوما (١) وكان لينين يرى بأن على الحزب أن يتبع ، فى النضال ضد الحكم المطلق ، خطة مرنة ، وأن يجمع بين أشـــكال النضال الشرعية واللاشرعية .

وقرر مؤتمر البلاشفة الذى عقـــد فى براغ فى عام ١٩١٢ طرد المناشفة المصفين (٢) من الحزب . ودعا جميع أعضاء الحزب الى النضال ضد هؤلاء شـارحا الخطر الذى يشكلونه على قضية تحرر الطبقة العاملة والى العمـــل على تجديد وتقوية منظمـات الحزب السرية .

وفى ربيع عام ١٩١٢ أنشئت بمبادرة عمال بطرسبرج، هذه المبادرة التى دعمها لينين بقوة ، جريدة بلشـفية يومية شرعية هى الـ « برافدا » . وصار اليوم الأول لصدور الـ «برافدا » عيد الصحافة العمالية . وكان لينين يدير جريدة « البرافدا » عن كثب . وكان يراسل بنشاط هيئة تحريرها ، ويبتهج بنجاحات الجريدة . ويساعد فى تصحيح أخطائها وسد نواقصها . وكان

---

(١) الدوما مؤسسة تشريعية اقامتها الحكومة القيصرية بهدف ابعاد الشغيلة عن الثورة . وقدعملت من ١٩٠٦ الى ١٩١٧ .

(٢) المناشفة المصفون انتهازيون كانوا خلال سنوات الرجعيـة يروجون نظرية تصفية حـزب البروليتاريا الثورى المحظور .

يجهد لنشر الجريدة دون تأخير بين العمال ، وزيادة نسخها المطبوعة ، وكان يوصى باجـراء الاشتراكات ، مباشرة ، فى المصانع والمعـــامل . كتب يقول : « ان انتصار قضية الحزب هو انتصـــار الـ « برافدا » والعكس بالعكس » . وكان لينين يشـــير الى أن على الجريدة العمالية أن تكون مناضلة وتقدمية،وأن تمضى قدما الى الامام ،وتضع المسائل بجسارة ، وأن تفضح أولئك الذين يخذلون الطبقة العاملة ويلحقون الضرر بالثورة .

وكان لينين يكتب كل يوم تقريبـــا للـ « برافدا » ، شارحا للجماهير العمالية جوهر تعاليم ماركس،ويبين مدلول النظرية الماركسية الثورية . وقد نشر أكثرمن ٢٨٠ مقالا للينين فى « البرافدا » فى فترة ١٩١٢ ــ ١٩١٤ ، وكثير منها بتوقيع مستعار « ف . ايلين » و « ف . فراى » و « ف . ا » و « برافدى » و « احصائى » و « قارىء » الخ .

ولكى يكون اقرب الى روسيا ، انتقـــل لينين ، فى يونيو ١٩١٢ ، من باريس الى بولونيا ، وحل فى مدينة كراكوفيا . وقد عاش هناك أكثر من عامين ، حتى بدء الحرب العالمية الاولى ، وقضى الشتاء فى كراكوفيا ، والصيف فى قرية بورونينو . وحين اندلعت الحــرب العالمية الاولى ، اعتقلت السلطاتالنمساوية لينينبناء لوشايات كاذبة اتهمتـــه بالتجسس لصالح الحــكومة القيصرية . وقد نهض خيرة مفكرى بولونيا والنمسا للدفاع عن لينين وأثبتوا سخافة التهمة . وبعد أن احتفظت السلطات العسكرية النمســاوية بلينين فى السجن مدة ١٥ يوما ، اضطرت اخيرا للافراج عنه .

وراى لينين ان من الضرورى جدا متابعة عمله القيادى فى النضال الثورى للعمال ضـــد القيصرية والحرب الامبريالية . لكن ذلك كان أمرا شـديد الصعوبة فى النمسا ، البلد المشترك فى الحرب . لذلك فقد طلب الاذن بالذهاب الى سويسراحيث عـــاش حتى ٢٧ مارس (٩ ابريل) ١٩١٧ فحل فى بيرن أولا ، ثم فى زيوريخ .

كانت مجموعتان من الدول الامبريالية تتحاربان ، احداهما تقودها المانيا وتقود انكلترا وفرنسا الاخرى التى كانت روسيا القيصرية منضـــمة اليها . كانت الحرب ، من الجانبين ظالمة ، فقد كانت حرب فتـوح تشن لصـالح الامبرياليين . ومنذ اليـوم الأول من الحرب شن لينين ضدها أشد نضال .

هل كانت تلك الحرب غير متوقعة ؟

كلا . لقد حذر لينين أكثر من مرة ان الراسماليين يعدون حربا ودعا الى النضال ضدها . وضعت خطة للاشتراكية الديمقراطية ازاء الحـــرب فى المؤتمرات اشتراكية عالمية . تعهد زعماء الاحزاب الاشـتراكية الأوروبية الغربية بمكافحة الحرب وبأنهم ، اذا نشبت، استنهضوا الطبقةالعاملة للاطاحة بالراسمالية . ولكن عندما نشبت الحرب خان زعماء تلك الاحزاب مصالح البروليتاريا ولزموا ، علنا ، جانب برجوازية بلدانهم. فقد دخل الاشتراكيون الحكومة فى فرنســا وانكلترا وبلجيكا وصوتوا فى المانيا للاعتمادات لأجل الحرب . وكانوا يبررون سياسة حكومات بلدانهم الامبريالية ، ويدعون الشعب الى تأييد المجهود الحربى ويروجون

بين العمال دعاية شوفينية . كانوا يقولون أن النضال لأجل الاشتراكية وتضامن عمال شتى البلدان الطبقي وتلاحمهم الأممي أمور ممتازة في زمن السلم ولكن على العمال في خلال الحرب أن ينسوا مصالحهم الطبقية . وسمي الاشتراكيون الذين ينادون بهذه الافكار اشتراكيين شوفينيين ، فهم اشتراكيون في الأقوال وشوفينيون في الافعال . وفي روسيا كان يمارس سياسة الاشتراكية الشوفينية بليخانوف والكسينسكي وماسلوف ، وغيرهم .

وكان فريق آخر من الاشتراكيين على راسه مثل كاوتسكي في ألمانيا وتروتسكي في روسيا وغيرهما يقف مواقف وسطية . والحقيقة ان الوسطيين بانتقادهم الاشتراكيين الشوفينيين كانوا يبررون تصرفاتهم ويساعدونهم في خداع العمال . وهكذا خان زعماء الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية ، بصورة مشينة ، قضية الاشتراكية والأممية . وبجريرتهم أفلست الأممية الثانية التي كان عليها أن تقود نضال عمال جميع البلدان ضد الحرب . لقد تفسخت احزابا شتى متعادية ولم يستطع العمال القيام للتو بعمل منظم ضدالحرب .

في تلك الفترة التاريخية الخطيرة رفع لينين والحزب البلشفي الذى أنشأه ، عاليا راية الأممية البروليتارية . ان نداء لينين الجسور ـ أعلنوا الحرب على الحرب ـ دوى في العالم بأسره . قال لينين : ينبغي لك الا تشهر السلاح ضد اخوانك ، شغيلة البلدان الأخرى ، بل ضد الحكومات البرجوازية الرجعية . كان ذلك دعوة الى الثورة البروليتارية .

ارتدت المسألة القومية فى ذلك الحين أهمية بالغة . كانت البرجوازية والملاك العقاريون فى أعدادهم الحرب العالمية يسعرون التباغض القومى ويسعون الى شق الطبقة العاملة . وكانت الحكومة القيصرية تخنق حركة التحرر الوطنى وتحض شعبا على شعب . وطالب لينين من البلاشفة الدفاع عن وحدة الحركة العمالية ، معتبرا هذه الوحدة الشرط الأساسى لقوتها . كان من الاهمية بمكان فى روسيا المتعددة القوميات أن يجمع بين نضال البروليتاريا الروسية الطبقى ونضال عمال وكافة شغيلة الأمم المظلومة .

ووسع لينين ودعم بالبراهين فى المقالين « ملاحظات انتقادية حول المسألة القومية » و «حول حق الامم فى تقرير مصيرها » ، البرنامج الماركسى حول المسألة القومية ، وسياسة الحزب البلشفى القومية . وكانت المطالب الرئيسية من مطالب البرنامج القومى اللينينى للحزب هى الآتية : المساواة التامة بين الشعوب وحق الامم فى تقرير مصيرها (اى حق الانفصال وانشاء دولة مستقلة) وجمع عمال كل القوميات فى منظمات بروليتارية موحدة .

وأوضح لينين أن الأمر الأساسى هو وحدة عمال كافة القوميات والتفافهم حول راية الأممية البروليتارية .

ووضع لينين فى خلال الحرب ، المؤلف « الامبريالية اعلى مراحل الرأسمالية » . وكان لينين – بمؤلفه هذا – أول ماركسى كشف جوهر المرحلة الجديدة التى ولجها المجتمع البشرى ، لقد

اظهر فى هذا الكتاب ان الراسمالية بلغت فى مستهل القرن العشرين مرحلة جديدة من تطورها هى الامبريالية .

وتطرق لينين ، على نحو جديد ، أيضا الى امكان انتصار الثورة البروليتارية . كان الماركسيون يعتبرون من قبل أن انتصار هذه الثورة الاشتراكية فى بلد واحد مستحيل وكانوا يعتقدون بأن الثورة لايمكن أن تنتصر الا فى جميع البلدان الرأسمالية المتطورة ، فى وقت معا ، أو فى معظمها . وخلص لينين . على أساس معطيات التطور الاجتماعى الجديدة الى أن الثورة الاشتراكية يمكنها ، فى عصر الامبريالية ، أن تنتصر أولا فى بضعة بلدان رأسمالية لا بل فى بلد رأسمالى واحد مأخوذا على حدة .

كان ذلك تطويرا جديدا للنظرية الماركسية عن الثورة الاشتراكية ذا أهمية خارقة بالنسبة الى الحركة العمالية العالمية . لقد دلت النظرية اللينينية عن الثورة الاشتراكية ، العمال الى الطريق الثورية التى تتيح الخروج من الحرب الامبريالية وتجنب الويلات التى تولدها الامبريالية .

قامت ثورة فبراير عام ١٩١٧ الديمقراطية البرجوازية فى روسيا عندما كان لينين فى سويسرا وما أن علم بأن الثورة انتصرت والقيصرية قلبت حتى أرسل برقية الى بلاشفة روسيا وكتب الـ « رسائل من بعيد » التى قدم فيها أجوبة مفصلة على كل الأسئلة التى طرحتها الثورة على الحزب .

كل عواطف لينين وكل أفكاره كانت مع الوطن .

كتب يقول : « تستطيعون أن تتصوروا أى عذاب يشكله بالنسبة الينا جميعا البقاء هنا فى مثل هذا الوقت » ، وكان يبحث بدأب واصرار عن وسيلة للعودة الى روسيا فى أسرع وقت .

كان امبرياليو انكلترا وفرنسا يسمحون بسهولة لمهاجرى الاحزاب الاخرى بالعودة الى روسيا ولكنهم لم يكونوا يريدون السماح بعودة لينين ورفاقه فى النضال خاشين نفوذهم فى الجماهير الثورية .

وبجهد كبير وبمساعدة الاشتراكيين الديمقراطيين السويسريين استطاع لينين فى نهاية المطاف ترتيب عودة فريق من البلاشفة ومهاجرين آخرين الى الوطن على الطريق الوحيدة الممكنة آنذاك ، عن طريق المانيا .

وبعد زهاء عشرة أعوام من النفى ، فى ليل الثالث من ابريل عام ١٩١٧ وصل لينين الى بتروجراد فاستقبلت روسيا الثائرة زعيمها العظيم ، بفرح وابتهاج .

زعيم ثورة اكتوبر الاشتراكية

فى الرابع من نيسان صاغ لينين ، فى اجتماع للبلاشفة فى بتروجراد . الموضوعات التى دخلت التاريخ باعتبارها « موضوعات ابريل » . وقد لعبت دورا حاسما فى تحديد نهج الحزب الصحيح فى الظروف التاريخية الجديدة . فقد عرض لينين فيها خطة حسية وجامعة للنضال فى سبيل الانتقال من الثورة الديمقراطية البرجوازية التى أعطت الحكم

للبرجوازية الى الثورة الاشتراكية التى ينبغى لهـــا أن تضع الطبقة العاملة وأفقر الفلاحين فى الحكم . وكان لينين يرى أن الطريق السليمة لتطور الثـــورة ممكنة فى تلك الظروف .

ان حياة لينين كلها بعد عودته كانت مفعمة بنشاط شديد . كان يرأس لجنة الحزب المركزية وتحرير الـ « برافدا » وقاد عمل منظمة بلاشفة بتروجراد . وبادارته رتب مؤتمـر بتروجراد والمؤتمر الســـابع (ابريل) لعموم روسيا لحزب العمـــال الاشتراكى الديمقراطى الروسى . وخطب فى اجتماعات وحشود لعمال بتروجراد والجنود والبحارة .

ودعا لينين فى مؤتمر نواب فلاحى روسيا الأول الى الاستيلاء فورا على اراضى كبار الملاك وقال انه لابد من انشاء منظمة مستقلة للعمال الزراعيين وافقر الفلاحين .

وكان لينـــين فى تكلمـــه فى الاجتمـــاعات يفضــــح السياسة المعادية للثورة التى تمارسها الحكومةالمؤقتة (هكذا كانت تسمى الحكومة التى شكلت فى خـــلال الثورة) والمناشفة والاشتراكيين الثوريين ، الذين كانوا يتعاونون مع هذه الحكومة ويظهر ، بحميـــة ، للعمال والجنود أن انتقال كل الحكم لسوفياتات نواب العمال والفلاحين هو وحده الذى يخرج روسيا من المأزق الذى قادتها اليه سيطرة البرجوازية . وأخذ العمال والفلاحون والجنود يلتفون أكثر فأكثر حـــول أفكار لينين وينضمون الى البلاشـــــفة ، وكانوا فى رسائلهم الى لينين يعلنون عن استعدادهم للنضـــال .

وشنت الحكومة المؤقتة حملة افتراء شعواء على لينين والبلاشفة ساعية الى اجتثاث قيادة الحزب البلشفى . وفى يوليو اصدرت مذكرة توقيف بحق لينين متخذة كافة التدابير للقبض عليه واغتياله . لكن الحزب والعمال الثوريين أخفوا زعيمهم جيدا . بقرار من اللجنة المركزية دخل لينين العهد السرى . وعثر العمال له على مخبأ على شاطىء بحيرة رازليف قرب بتروجراد . عاش هنالك فى كوخ وتزيا بزى حصاد وكان يعمل : كتب مقالات ورسائل وأعد كتابه «الدولة والثورة» . لا شيء كان يستطيع ايقاف عمله الذى لا يكل .

وقد طهر لينين فى « الدولة والثورة » أفكار ماركس وانجلس عن الدولة ودكتاتورية البروليتاريا فى الوضع التاريخى الجديد من التشويهات الانتهازية وطور هذه الأفكار .

ولكن البقاء فى الكوخ أصبح خطرا . وفى اغسطس تنكر بزى سائق قطار وانتقل الى فنلندا .

وفى ظروف السرية أدار لينين مؤتمر الحزب السادس الذى جرى فى بتروجراد فى أواخر يوليو ـ أوائل اغسطس عام ١٩١٧ . وقرر المؤتمر بالاجماع الا يمثل لينين أمام المحكمة بشأن الدعوى التى رفعتها البرجوازية واحتج على الملاحقة التى يتعرض لها زعيم البروليتاريا الثورية . ودعا المؤتمر ، الحزب الى النضال لقلب حكم البرجوازية المعادى للثورة ، والملاك العقاريين عن طريق الانتفاضة المسلحة لأن الطبقة العاملة لم يعد باستطاعتها : فى ذلك الحين ، الاستيلاء على الحكم بالوسائل السلمية .

وفى خريف عام ١٩١٧ حيث نضجت الازمة الثورية وحان وقت عمل البروليتاريا الثورى عاد لينين سرا الى بتروجراد لترؤس الانتفاضة .

وبحثت مسألة الانتفاضة المسلحة ، فى العاشر والسادس عشر من اكتوبر ، فى جلستين للجنة الحزب المركزية . وأقرت لجنة الحزب المركزية القرارات التاريخية التى قدمها لينين . الا أن كامينييف وزينوفييف تصرفا تصرفا جبانا . ولم يعارض تروتسكى ولكنه ألح على تأجيل الانتفاضة حتى عقد مؤتمر السوفياتات الثانى ، الأمر الذى كان يعنى فى الحقيقة نسف هذه الانتفاضة لأن المعادين للثورة يكون قد تيسر لهم امكان تجميع قواهم وقمع العمال الثوريين . لقد سلك الحزب الطريق اللينينية فى جلسة العاشر من اكتوبر : انتخب المكتب السياسى برئاسة لينين لأجل قيادة الانتفاضة السياسية . وفى السادس عشر من اكتوبر انتخب مركز عسكرى ثورى يضم ا . بوبنوف و ف . دزرجنسكى و ى . سفردلوف و ى . ستالين و م . اوريتسكى .

كان لينين يطالب بحزم بأن تبدأ الانتفاضة المسلحة قبل افتتاح مؤتمر السوفياتات الثانى المعين فى الخامس والعشرين من اكتوبر . وباقتراح منه شنت الانتفاضة فى الرابع والعشرين من اكتوبر وفى الخامس والعشرين من اكتوبر (٧ نوفمبر) انتصرت الانتفاضة المسلحة . ان ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى كانت انعطافا جذريا فى

التاريخ العالمى . لقد دشنت عهدا جديدا فى تطور المجتمع البشرى ، عهد الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية ، عهد انتصار الاشتراكية والشيوعية . كان لينين رائد الثورة ومنظمها .

مؤسس الدولة السوفياتية

فى مساء ٢٥ اكتوبر (٧ نوفمبر) عام ١٩١٧ افتتح فى بتروجراد المؤتمر الثانى للسوفياتات وقد حضره ٦٥٠ مندوبا بينهم زهاء ٤٠٠ بلشفى قدموا من جميع أنحاء البلاد . وأعلن المؤتمر رسميا انتقال الحكم كله الى السوفياتات . وكان ذلك حدثا تاريخيا عظيما .

وقد استقبل المندوبون بالهتاف الشديد خطاب لينين فى المؤتمر يوم ٢٥ اكتوبر . ويروى المندوب ا . اندرييف قائلا : « حين صعد لينين الى المنصة ، نهضت القاعة جمعاء ، واتجهت نحوه . ولم يتمكن من بدء خطابه طوال استمرار عواصف التصفيق وانتشرت هتافات « عاش لينين ! » . وهكذا استمع أعضاء المؤتمر ، وقوفا ، الى تقرير لينين حول السلم ، والذى اقترح فيه زعيم الثورة البروليتارية اقرار نداء الى شعوب وحكومات جميع البلدان المتحاربة لأجل عقد هدنة فورا .

وبناء على اقتراح من لينين اقر المؤتمر المرسوم حول السلم ، وهى المسألة الاكثر الحاحا التى كانت تشغل اهتمام العمال والفلاحين . وكان ذلك أول قرار تتخذه السياسة الخارجية السلمية لحكم السوفيات ، معارض بصورة جذرية لسياسة الغزو التى تنتهجها

البورجوازية الامبريالية . ومنذ اليوم الأول ، وضعت السياسة الخارجية للدولة الاشتراكية الجديدة فى خدمة السلم والصداقة بين الشعوب . وقد اعلن المرسوم ان الحرب جريمة من أفظع الجرائم ضد البشرية .

وقدم لينين اثر ذلك تقريرا عن الارض ، وتلا مشروع المرسوم الخاص بالأرض . وكان هذا المرسوم يلغى الى الأبد ودون تعويض الملكية العقارية ، ويسلم هذه الأرض للفلاحين ، ويزيد مساحتها عن ١٥٠ مليون هكتار بالاجمال . ان ما حلم به الفلاحون وناضلوا من أجله طوال عصور قد تحقق . وبموجب المرسوم اللينينى ، أبدلت الملكية الخاصة للارض بملكية الشعب بأسره ، ملكية الدولة ، وذلك ما سهل فيما بعد تجديد الزراعة على أساس اشتراكى . وقد أقر المرسوم حول الأرض بحماسة من قبل المندوبين .

لقد انتخب المؤتمر الثانى لسوفياتات نواب العمال والجنود اللجنة التنفيذية المركزية لروسيا وشكل حكومة ، هى مجلس مفوضى الشعب ، الذى انتخب رئيسا له لينين . وقد عهد الشعب الى الحزب البلشفى بقيادة البلاد . وقد شكل ممثلو الشعب ، المندوبون الى مؤتمر السوفياتات أول حكومة للعمال والفلاحين فى العالم ، بقيادة لينين .

وفى فترة اعداد ثورة اكتوبر وانجازها ، تجلى لينين للعالم بأسره كنظرى ماركسى ، ورجل دولة عظيم واستاذ كبير للعمل الثورى .

لقد نفذ حزب البلاشفة الحاكم التزاماته ازاء الشعب : فأعلن السلم ، واعطى الشعب الحرية

والارض . ولكن كان ينبغى الاحتفاظ بحكم الطبقة العاملة وتعزيزه . ومنذ اليوم الاول لانتصار اكتوبر ، كرس لينين جميع أفكاره وأعماله وارادته وقواه للدفاع عما تم كسبه ، ولمضاعفته .

ان تشييد الحياة الجديدة للعمال والفلاحين قد بدأ فى ظروف صعبة ، فقد انتصرت الثورة الاشتراكية فى بلد واحد متخلف اقتصاديا ، وحيث الفلاحون الصغار يشكلون أكثرية سكانه . وكانت الحرب مستمرة ، تدفع البلاد الى الخراب ، وتهدم الاقتصاد الوطنى . وكان الاعداء الكثيرون للحكم السوفياتى ينظمون مؤامرات وفتنا وعمليات تخريب واستفزازات ، وينشرون الافتراءات والاكاذيب . وكان الوضع يزداد خطورة أيضا لأن بعض البلاشفة المترددين (أمثال كامينيف وزينوفييف وريكوف وأنصارهم) كانوا هم أيضا يعارضون نهج الحزب . واذ تصرفوا تصرف كاسرى الاضراب خرجوا من الحكومة السوفياتية .

وكان ينبغى تحطيم مقاومة الأعداء ، وتنظيم تموين المدن بالمواد الغذائية ، وتشغيل المصانع والمعامل ، وبناء دولة جديدة سوفياتية .

وقد وضع لينين نصب عينيه هدف اشراك الجماهير الواسعة ، العمالية والفلاحية ، بنشاط فى التشييد الاشتراكى . وكان يشير الى أنه ينبغى الخلاص من اختلافات وخرافات البورجوازية ، الزاعمة بأن الأغنياء ، أو الموظفين المنبثقين من طبقة المالكين هم وحدهم الذين يستطيعون قيادة الدولة .

وفى نوفمبر ١٩١٧ ، كتب لينين « نداء الى السكان » ، داعيا اياهم للالتفاف حول السوفياتات ، ولكى يأخذوا بأيديهم بجسارة قيادة الدولة . وكان يدعو الجماهير بلا كلل فى الاجتماعات الجماهيرية الى بناء الحياة الجديدة . وكان لينين يقول : « ليست الاشتراكية نتيجة لقرارات تأتى من فوق » . بل كان يعتبر ابداع الجماهير الحى بمثابة الشيء الأساسى فى تشييد الاشتراكية .

كان مقر الحكومة السوفيتية فى سمولنى (١) . وكان العمل هناك يجرى بنشاط كبير ليلا ونهارا . والى هناك كان الناس يأتون من جميع أنحاء البلاد . وفى مركز كل هذا العمل الجبار ، كان يوجد لينين . وكان يأتى لمقابلته عمال وجنود وبحارة وفلاحون . وكان ممثلو القرى النائية يأتون الى العاصمة لمشاهدة لينين والتحدث مع رئيس حكومتهم . وكان لينين يستقبلهم ، ويصغى اليهم بانتباه . ويسوى بسرعة المسألة التى يراجع بشأنها ، ويعلم العمال والفلاحين ويتعلم هو نفسه منهم . وكان يعكف على جميع المسائل الأساسية لسياسة الحزب والدولة .

وفى مهلة قصيرة ، تم فى البلاد تحقيق تحولات سياسية واقتصادية جذرية . ومنذ الأيام الأولى ، تبنت الحكومة السوفياتية مشروع التسوية الذى

---

(١) سمولنى (مدرسة داخلية قديمة للفتيات النبيلات) أحد قصور بتروجراد (لينينجراد اليوم) حيث كانت توجد فى عام ١٩١٧ هيئة اركان الانتفاضة وحيث اعلن الحكم السوفياتى فى ٢٥ اكتوبر (٧ نوفمبر) ١٩١٧ .

وضعه لينين لقضية الرقابة العمالية على الانتاج والتوزيع . وحصل الممثلون المنتخبون للعمال والمستخدمين على الحق فى الرقابة على جميع شئون المؤسسة ، والحيلولة دون أى اضطراب أو خلل فى الأعمال . كانت الطبقة العاملة تقوم بالخطى الأولى لكى تأخذ بيديها قيادة الانتاج .

واتخذت قرارات حول تسريح الجيش القديم ، والغاء تقسيم المواطنين الى درجات ، كما ألغيت امتيازات الطبقات التى كانت مالكة وأصبحت السكك الحديدية ، والأسطول التجارى ، والبنوك ، وكل التجارة الخارجية ، ملكا للدولة . وبعد ذلك بوقت قليل ، جرى تأميم المصانع والمعامل هى ايضا .

ان جميع هيئات الدولة السوفياتية وأجهزتها ، ومفوضيات الشعب جرى تشكيلها تحت الاشراف المباشر للينين . وبناء لاقتراحه ، أنشىء المجلس الاعلى للاقتصاد الوطنى أول هيئة بروليتارية لتخطيط الاقتصاد الوطنى وقيادته، ومفوضية الشعب لشئون القوميات ، واللجنة الاستثنائية لمكافحة الثورة المضادة والتخريب (تشيكا) ، وقد وضع لينين « بيان حقوق الشعب العامل والمستثمر » الذى كان اساسا للدستور السوفياتى الأول . وقد أعلن هذا البيان المساواة التامة بين جميع شعوب روسيا ، وحقها فى تقرير مصيرها بحرية حتى الانفصال ، وتكوين دولة مستقلة ، وقد أرسى البيان الدعائم الوطيدة للصداقة الخالدة بين شعوب بلاد السوفيات .

ان جميع هذه التدابير للحزب والحكم السوفياتى كانت تمارس تأثيرا قويا على الشغيلة . وكان الحكم

السوفياتى يكسب الى جانبه أوسع الجماهير الشعبية .

لكن الوضع كان صعبا جدا . وكان يجب قبل كل شيء الخلاص من الحرب . وكان الجنود ، وقد إنهكت قواهم ، يريدون أن يعودوا الى منازلهم .

وبالرغم من العديد من العروض التى قدمتها الحكومة السوفياتية ، فان حكومات انكلترا وفرنسا والولايات المتحدة قد رفضت اجراء محادثات للصلح مع ألمانيا . وكان لينين يرى أن على الحكومة السوفياتية فى هذا الوضع أن تعقد صلحا منفصلا مع ألمانيا ، ولم يكن هناك مخرج آخر . وقد قبل الامبرياليون الألمان مفاوضات الصلح ولكن بوضع شروط ساحقة . وكانوا يطالبون بأراض سوفياتية هامة .

هل كان على الحزب والحكومة أن يقبلا هذه الشروط المذلة أم مواصلة الحرب ؟ لقد اقترح لينين عقد الصلح . وكان يشير الى أن البلاد المنهكة والتى خارت قواها تحتاج الى هدنة . وكان لينين يوضح بانه يجب قبول تضحيات لانقاذ جمهورية السوفيات ، ويجب مهما كلف الأمر وضع حد للحرب خلال هدنة قصيرة لأجل تعزيز الحكم السوفياتى ، وانقاذ مكاسب الثورة البروليتارية . وكان لينين يقول انه يجب الاتاحة للعمال والفلاحين أن يرتاحوا من فظائع الحرب الامبريالية ، والشروع فى انهاض الاقتصاد الوطنى ، وانشاء جيش جديد عمالى وفلاحى ، قادر على الدفاع عن مكاسب الثورة .

ان بقايا البورجوازية التى اطيح بها ، والاشتراكيين الثوريين (١) والمناشفة ، والتروتسكيين ، و « الشيوعيين اليساريين » ، بوخارين . وبوبنوف ، ولوموف ، وأوسينسكى ، وآخرين ، قد عارضوا عقد الصلح مع المانيا ،وكان «الشيوعيون اليساريون» يطالبون بشدة بقطع مفاوضات الصلح ، ويدعون الى « حرب ثورية » مع المانيا ، مع أنه لم تكن ثمة فى البلاد قوى لأجل ذلك . وبالتالى ، فان البورجوازية ، والأحزاب البورجوزاية الصغيرة وقسما من البلاشفة المترددين قد ناهضوا نهج لينين .

وكان الوضع شديد الصعوبة فى الحزب ، وكان لينين يعانى من ذلك كثيرا . وقد هاجم فى الصحافة « الشيوعيين اليساريين » وتروتسكى.، وسخر من « العبارة الثورية الطنانة » وفضحها . وكان لينين يصف اقتراحات « الشيوعيين اليساريين » بالمغامرة وسلوكهم بانه « مستغرب وفظيع » ، حين وصل بهم الأمر الى القول انه يمكن التضحية بالحكم السوفياتى من أجل مصالح الثورة العالمية . وكان لينين يؤكد على أن ابقاء جمهورية السوفيات وتعزيزها يشكلان أفضل مساندة لحركة تحرير الشغيلة العالمى .

وقد جرت مناقشة مسألة الصلح أكثر من مرة فى جلسات اللجنة المركزية للحزب . وكان للمناقشة طابع حاد جدا . وفى البدء ، لم تدعم أكثرية

---

(١) الاشتراكيون الثوريون اشتراكيون ثوريون اعضاء الحزب البرجوازى الصغير فى روسياكانوا يمثلون الجناح اليسارى من الديمقراطية البرجوازية .

أعضاء اللجنة المركزية لينين . وكان تروتسكى ، الذى عين رئيسا للوفد السوفياتي للمحادثات مع ممثلى المانيا يخالف تعليمات لينين واللجنة المركزية للحزب ، والحكومة السوفياتية ، ولم يوقع على الشروط التي قدمتها ألمانيا ، ونسف محادثات الصلح . وكان موقف تروتسكى و « الشيوعيين اليساريين » يخدم الامبرياليين الالمان . وفى فبراير ١٩١٨ ، انتقل الجيش الألمانى الى الهجوم . وكان الامبرياليون يريدون خنق الحكم السوفياتي واستعمار روسيا .

كان خطر الموت يخيم على بلاد السوفيات ، وقد نظم لينين والحزب على عجل ، الدفاع . وفى ٢١ فبراير ، أطلق لينين نداء مؤثرا الى الشعب باسم مجلس مفوضى الشعب « الوطن الاشتراكى فى خطر!» وقد جاء فى هذا النداء أن « الواجب المقدس لعمال وفلاحى روسيا هو الدفاع بنكران ذات عن جمهورية السوفيات ضد قطعان البورجوازية الامبريالية الألمانية » . واقترح لينين تكريس جميع القوى وجميع الوسائل للدفاع . وقد استثار نداء لينين انطلاقا ثوريا جبارا للجماهير الكادحة . وعقدت احتشادات كبرى للعمال والفلاحين والجنود فى بتروجراد وموسكو وفى غيرهما من المدن والقرى . وتلبية لنداء لينين والحزب البلشفى والحكومة السوفياتية تقدم الالوف من العمال والفلاحين كمتطوعين للدفاع عن الوطن الاشتراكى . وكانت تتشكل فى كل مكان فصائل من الجيش الجديد للشعب الثورى التى كانت تصمد ببطولة للهجوم المعادى .

وفى ذكرى هذه الأحداث ، يحتفل الشعب السوفياتى بيوم ٢٣ فبراير كعيد للقوات المسلحة .

وكانت مسألة عقد الصلح قد اصبحت شديدة الالحاح والأهمية بحيث أن اللجنة المركزية قررت الدعوة لعقد مؤتمر الحزب . وجرى الاعداد لذلك بنشاط . وكانت « البرافدا » تنشر كل يوم تقريبا مقالات للينين يثبت فيها ضرورة عقد الصلح .

وافتتح المؤتمر السابع للحزب فى ٦ مارس ١٩١٨ فى بتروجراد . وكان ذلك هو المؤتمر الاول للحزب بعد انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى . وقد قاد لينين جميع أعمال المؤتمر ، وتكلم فيه عدة مرات . وفى التقرير السياسى للجنة المركزية ، اثبت بصورة لاتدحض ضرورة عقد معاهدة بريست ـ ليتوفسك للصلح .

وبأكثرية الاصوات وافق المؤتمر السابع للحزب على النهج اللينينى واقر القرار « حول الحرب والسلم » الذى يؤكد على أن روسيا السوفياتية بحاجة الى عقد الصلح مع المانيا . ودعا المؤتمر الحزب والشغيلة الى تشديد يقظتهم وتعزيز الانضباط الثورى ، وانشاء منظمات قادرة على انهاض ملايين الناس للدفاع عن الوطن الاشتراكى ، لان هجمات الامبرياليين الجديدة كانت حتمية لا مجال لتلافيها .

وأقر المؤتمر ، بناء لتقرير آخر من لينين ، القرار حول تغيير اسم الحزب ، الذى أصبح يسمى منذ ذلك الحين الحزب الشيوعى (البلشفى) فى روسيا . وقال لينين « ان هذا الاسم يعبر بوضوح عن اننا نسير نحو الشيوعية الكاملة » .

لدى الخروج من الحرب ، أفادت الطبقة العاملة والفلاحون الكادحون فى بلاد السوفيات من الصلح

الذى كان لا غنى عنه لاجل توطيد الحكم السوفياتى وتطوير الثورة الاشتراكية . كل هذا كانت البلاد مدينة به للينين . ان حكمته وبعد نظره ، وصلابته المبدئية ، وارادته ، قد ضمنت تطبيق السياسة الوحيدة الصحيحة . ان عقد معاهدة بريست ـ ليتوفسك هو مثال باهر على مرونة تكتيك لينين ، الذى كان يحسن التراجع حين يكون ذلك ضروريا لاجل كسب الوقت وتكديس القوى لاجل انتصارات مقبلة.

فى ١١ مارس ١٩١٨ ، انتقلت الحكومة الى موسكو التى أصبحت عاصمة الدولة السوفياتية . واتخذ مجلس مفوضى الشعب واللجنة التنفيذية المركزية لروسيا مقرهما فى الكرملين . وانتقل اليه لينين كذلك .

لقد أقر المؤتمر الرابع (الاستثنائى) لسوفياتات روسيا ، الذى عقد فى ١٤ مارس فى موسكو قرار لينين الذى يصادق على معاهدة الصلح . ان تطور حركة التحرر العالمى الذى تلا عقد معاهدة بريست . قد أكد حسابات لينين الحكيمة وتنبؤاته العلمية . وفى نوفمبر ١٩١٨ ، حدثت ثورة فى المانيا ، وفقدت المعاهدة القرصنية مفعولها .

لقد سارع لينين والحزب البلشفى والحكومة الى الافادة من الهدنة لاجل تعزيز الحكم السوفياتى ، والشروع فى بناء الاشتراكية . وكان ذلك صعبا ، فبعد خلع نير الملاك العقاريين والرأسماليين ، وجد الشعب نفسه امام مهمة لم يحققها قبله قط اى بلد . وكان ينبغى بناء جهاز دولة جديد ، وتنظيم الاقتصاد ،

وتعلم حكم الدولة . وقد أصبح العمال والفلاحون سادة المعامل والمصانع والارض . لكنهم لم يكونوا يدركون جميعا بأنه ينبغى العناية بملكية المجتمع والدولة ، ومضاعفتها .

كيف العمل لتجديد تربية الجماهير بروح الاشتراكية . وكيف السبيل لتعليمها العمل بصورة جديد . هذه المسائل كانت تشغل أفكار لينين . وفى ٢٩ ابريل عام ١٩١٨ ، قدم الى اجتماع اللجنة التنفيذية المركزية لروسيا تقريرا حول المهمات الفورية للحكم السوفياتى . وفى الكراس الذى يعالج نفس الموضوع ، أوضح لينين أسباب انتصار ثورة اكتوبر ، وحدد هدف التحويل الاشتراكى لاقتصاد روسيا ، وبين الصعوبات فى الطريق المؤدية الى المجتمع الجديد ، ودعا العمال الى تعلم تنظيم الانتاج . انشاء الاقتصاد الجديد الاشتراكى ، تلك هى المهمة الرئيسية ، هكذا كان يقول لينين . و « هذه أصعب مهمة ، ذلك لان الأمر يتعلق بتنظيم ، جديد الكيفية ، لأعمق الأسس .. الأسس الاقتصادية لحياة عشرات وعشرات الملايين من الناس . وهذه أيضا المهمة الاكثر صعوبة ، اذ أن بعد تحقيقها فقط (فى خطوطها الكبرى الاساسية) سيصبح بالامكان القول أن روسيا قد أصبحت جمهورية ليس فقط سوفياتية ، بل واشتراكية أيضا »

وكان لينين يقول : يوجد كثير من المنظمين المتازين ، فى الشعب ، بين العمال والفلاحين ، ويجب العثور على هذه المواهب ، ووضعها قيد العمل ، واعطاؤها امكانية النشاط .

كان لينين يولى اهمية خاصة لتنظيم وتطوير المباراة الاشتراكية على نطاق واسع . وكان يقول : فى النظام الاشتراكى أتيحت لاول مـرة امكانية تطبيق المباراة فى الانتاج على نطاق واسـع وكبير . وكان لينين يقول ان الاشتراكية تقيمها الجماهير الشعبية ذاتها ، هـذه الاشتراكية التى تكتشف فى الشعب مصدرا جديدا للمواهب ، وتنهض ملايين الشغيلة للعمل النشيط ، جاعلة منهم صانعين للتاريخ .

وقال لينين انه يجب تنظيم احصاء ومراقبة انتاج وتوزيع المنتجات . وكان يدعـو العمـال الى زيادة انتاجية العمل ، وتطوير الصناعة الكبيرة ، وانتـاج المحروقات ، والحديد ، والماكينات ، وكـذلك تنشيط التعليم وثقافة الجماهير ، وتحسين الانضباط ، والعمل على نحو أفضل . وكان لينين يقول ان ذلك لم يـكن بسيطا ، وان رفع انتاجية العمل كان عملا طويل النفس وصعبا . وكان لتوجيهات لينين أهمية كبرى لاجـل تشييد الاشتراكية ، ولا تزال تحتفظ بأهميتها هذه حتى أيامنا ، حيث يبنى الشعب السوفياتى الشيوعية

ان نضال الحزب الشيوعى لكى يضع قيد التطبيق برنامج التشييد الاشتراكى الذى صـاغه لينين كان يجرى فى جو صعب الى أقصى حـد . وكان نقص الاغذية كبيرا جدا فى صيف ١٩١٨ . وكان الكولاك ، أى الفلاحون الاغنياء ، والمضاربون ، يخبئون القمح ، ويريدون قهر الثورة بالمجاعة . وأطلق لينين النـداء التالى « النضال من أجل القمح ، هو النضال من أجل الاشتراكية » .

وقد شكل عشرات الالاف من العمال الطليعيين ، وبالدرجة الاولى عمال بتروجراد ، فصائل التموين ، وتلبية لنداء لينين ، والحزب ، ذهبت هذه الفصائل الى الريف . وفى يونيو عام ١٩١٨ ، وقع لينين مرسوما حول تشكيل لجان الفلاحين الفقراء التى أصبحت دعامة للدولة السوفياتية فى النضال ضد الكولاك ، وفى تموين المدن والجيش بالقمح . كل هذا عزز السوفياتات فى الريف ، وساعد على كسب عواطف الفلاحين المتوسطين .

فى يوليو ١٩١٨ أقر المؤتمر الخامس للسوفياتات الدستور الاول لجمهورية روسيا ، الذى كرس تشريعيا مكاسب الثورة الاشتراكية .

الا أن الهدنة لم تكن طويلة الامد . فالامبرياليون الاجانب ، والطبقات المالكة من البورجوازية ، والملاك العقاريون الذين أطيح بهم لم يكونوا يريدون الرضوخ لانتصار العمال والفلاحين فى روسيا . وكان أولئك يدركون بأنه قد نشأ مركز ثورى يمكن ان يمتد لهيبه الى بلدان أخرى . ولم يكن رأسماليو بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة يريدون ان يخسروا مليارات الروبلات التى قدموها كقروض للقيصر الروسى ، والملاك العقاريين وللبورجوازية . ولم يكونوا يريدون أن يفقدوا الأرباح الهائلة الضخامة التى كانوا يجنونها من استثمار ثروات روسيا .

وفى ربيع ١٩١٨ شن الامبرياليون الاميركيون والانكليز والفرنسيون واليابانيون الحرب ضد بلاد السوفيات ، جاهدين لكى يخنقوا بالقوة الدولة الاشتراكية الوليدة . وانطلق الحراس البيض والقوى الاخرى

المضادة للثورة فى الحرب الأهلية بمساعدة المتدخلين الاجانب .

ونهض الحزب الشيوعى والشعب السوفياتى للدفاع عن الجمهورية . ان نداء لينين « كل شىءلأجل سحق العدو » أصبح شعار قتال الشغيلة ، وجرى تشكيل مجلس للدفاع العمالى والفلاحى برئاسة لينين .

على رأس الدفاع عن البلاد

من الصعب ان يتصور المرء النشاط المشدد جدا الذى بذله لينين فى فترة التدخل العسكرى الاجنبى والحرب الاهلية . وكانت مخططات العمليات العسكرية تصاغ تحت قيادته شخصيا . وكان لينين يسهر على تعزيز الجيش الاحمر وزيادة قدرته القتالية ،وتموينه بالأغذية والأسلحة والتجهيزات .

وكان الجيش البروليتارى بحاجـــة الى قادة . وباقتراح من لينين انشئت دروس عسكرية ،وصيفت منظومة كبيرةلتكوين الضباط ، وكان العمال والفلاحون الثوريون هم هيكل الملاكات الجديدة . وقد قام الحزب الشيوعى ولينين بتكوين قادة عسكريين بارزين للجيش الاحمـــر أمثـــال م . فرونزه و ف . بلوخر و م. توخاتشيفسكى و س . بودينى و ك. فوروشـــيلوف و غ . كوتوفسكى و أ. بارخوفنكو و ف. تشاباييف و ن . شتشورس وكثيرين غيرهم من أبطال الحـرب الاهلية .

وفى الوقت نفسه ، كان لينين يسعى لاشراك قدامى الاختصاصيين العسكريين على نطاق واسع فى عمـل الجيش الاحمـر . وكان يرى انه ينبغى اســـتخدام

تجربتهم الفنية وقد تكون الفتيان فى مدرستهم . ولعب المفوضون العسكريون الذين كان الحزب يقوم بواسطتهم بعمله السياسى فى الجيش ، دورا كبيرا فى تربية الجنود .

وكان لينين يهتم بجميع المسائل الاساسية المتعلقة بتنظيم الدفاع عن البلاد . ومن غرفة عمله فى الكرملين كان يرسل الى جميع أنحاء البلاد التوجيهات ، والأوامر والقرارات . وكثيرا ما كان فى ساعة متأخرة من الليل يوقظ هاتفيا أحد الموظفين لمعرفة ما اذا كانت هذه الفصيلة أو تلك قد أرسلت الى الجبهة ، وما اذا كان ثمة أغذية واسلحة وكل الضرورى الذى لا غنى عنه. وكان لينين ينسى النوم والراحة ، متتبعا سير العمليات باذلا كل الجهود لاجل النصر . وكان يجتمع بالقادة العسكريين ، ويتدارس معهم الوضع فى الجبهات ، وحاجات الجيش . لقد كان لينين يدعو الشعب الى تقديم اقصى المساعدة .

وبالرغم من تفوق القوات الامبريالية ، والصعوبات الهائلة ـ النقص الكبير فى الاغذية والتجهيزات والأسلحة والذخائر ـ فقد كان لينين يؤمن ايمانا لا يتزعزع بانتصار النظام الجديد ، وكان ينقل هذا الايمان الى الجماهير الكادحة الواسعة . وكل يوم تقريبا ، كان لينين يتكلم ، وعدة مرات كل يوم فى كثير من الاحيان ، فى اجتماعات جماهيرية للعمال والجنود الحمر ، وفى مؤتمرات واجتماعات ومصانع وفبارك .

وكان لينين يسهر أيضا على التطور الروحى للشعب ، وعلى اطلاعه على مصادر الثقافة . وفى يناير ١٩١٨ ، حين تكلم فى المؤتمر الثالث لسوفياتات

روسيا ، أعلن ان جميع خيرات التكنيك والثقافة لم تكن فى الماضى ، فى النظام الرأسمالى ، تفيد سوى الاغنياء ، فى حين لم يكن لدى الشغيلة حتى امكانية تعلم القراءة والكتابة . وقد وضع الحكم السوفياتى التكنيك والعلم والثقافة فى متناول الشعب بأسره .

ولكن يكن لينين يضن بقواه . وكانت راحته الوحيدة هى النزهات فى حدائق الكرملين ، وكذلك الرحلات، فى أيام العطلة ، الى ضواحى موسكو مع زوجته وأخته الصغرى .

كانت الثورة المضادة الداخلية ، بقيادة وتمويل الامبرياليين ، تنظم مؤامرات ضد الحكومة السوفياتية، وتعد لاغتيال لينين ورفاقه فى النضال . وفى ٣٠ أغسطس ١٩١٨ ارتكبت كابلان ، وهى من «الاشتراكيين الثوريين» محاولة لاغتيال لينين ، وأصابته بجرح خطر اذ أطلقت عليه نيران مسدسها عن قرب . وكانت الطلقات التى استعملتها كابلان مسمومة . وقد نقل لينين الى شقته فى الكرملين . وكان الأطباء يسهرون ليلا ونهارا ، اذ ان حياة لينين كانت فى خطر .

كان الحزب والبلاد بأسرها يتابعان فى قلق الحالة الصحية لقائدهما . وليلا ونهارا كانت تصل الى موسكو برقيات تستعلم عن حالة لينين . وقد أحس الشعب بابتهاج كبير حين بدا لينين بالشفاء . وقد تلقى آلاف الرسائل . وفى سبتمبر ١٩١٨ ، كتبت « البرافدا » : « ان لينين يناضل ضد المرض، وسوف يتغلب عليه . هكذا تريد البروليتاريا ، وتلك هى ارادتها ، وهى تغلب القدر » . وما كاد لينين يشفى من جراحه ، حتى تولى مجددا قيادة الحزب والبلاد.

وفى شتاء ١٩١٨ — ١٩١٩ استؤنف القتال بقوة جديدة على كل الجبهات . وكان امبرياليو الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا واليابان يرسلون قوات جديدة هامة ضد روسيا السوفياتية . وقد نزلت قوات تلك الدول فى شمالى البلاد وجنوبيها ، وفى ما وراء القوقاز وآسيا الوسطى والشرق الأقصى وكان أكثر من مليون جندى مدججين بالسلاح يطوقون من كل جانب بلاد السوفيات . وكان الامبرياليون يؤازرون الجنرالات البيض .

لقد شدد الشعب بقيادة الحزب رده على أعداء ثورة أكتوبر ° وانطلق الى الجبهات ، تلبية لنداء الحزب الشيوعى ، آلاف من الشيوعيين والكومسومول والعمال وأعضاء النقابات .

لم يكن لينين يخفى الصعوبات ، ولم يكن يقول سوى الحقيقة للشغيلة . وهذا ما كان يعلمه أيضا للحزب . وكان الشيوعيون يذهبون الى المعامل ، والمصانع ، والمناجم ، والى الحواضر العمالية والقرى. وكانوا يشرحون الوضع الصعب الذى كانت تمر به بلاد السوفيات ، ويدعون العمال والفلاحين والجنود والبحارة الى تعزيز حكم السوفيات والدفاع عنه . وكانوا يذهبون الى أشد القطاعات خطرا ، ويدفعون الآخرين للاقتداء بهم . وكانت صلابة الحزب الكبيرة فى أيامه العصيبة ، وايمانه الذى لا يتزعزع بالنصر ، يقربانه أكثر أيضا الى الشعب . وكان لينين يقول ان مؤخرات متينة ، وحسنة التنظيم ، كانت ضرورية لأجل النصر . وكان يقول ان افضل جيش فى العالم سيباد اذا لم يدعمه الشعب . والجيش يجب أن

يجهز ، ويمد بالاغذية والملابس . وكل هذا هو عمل المؤخرات .

وتلبية لنداء لينين ، كان العمال وجميع الشغيلة يستجيبون ببطولة جماهيرية على جبهة العمل . وابتداء من ربيع ١٩١٩ ، واقتداء بعمال سكة حديد موسكو ، نظم العمال بعد انتهاء أعمالهم أيام سبت شيوعية فى جميع أنحاء البلاد ، عاملين دون مقابل من أجل دولتهم . لقد كتب لينين فى مقاله « المبادرة الكبرى » بان أيام السبت هذه كانت حدثا ذا أهمية تاريخية يسجل ولادة موقف شيوعى ازاء العمل . وكان لينين يرى أن الشيوعية تبدأ حين يهتم عامة الشغيلة بزيادة انتاج العمل ، والسهر على كل بود من القمح ، والفحم ، والحديد ، وغيرها من المنتجات المعدة لمجمل المجتمع . وقد اشترك لينين نفسه فى السبت الشيوعى الذى أقيم فى أول مايو ١٩٢٠ ، فى الكرملين .

كان لينين يدعو العمال الى زيادة انتاجية العمل الى اقصى حد ، لان ارتفاع هذه الانتاجية هو ، كما كان يؤكد ، الشىء الاهم والاكثر اساسية لاجل انتصار النظام الجديد .

وكان على بلاد السوفيات أن تدافع عن نفسها ضد غزو ١٤ دولة لها . وكان ينبغى أن تخضع كل شىء للنضال من أجل النصر على المتدخلين والثورة المضادة الداخلية . وأقيم نظام حرب ليس فقط فى الجيش والاسطول ، بل ايضا فى الصناعة والنقليات . ولاجل تموين الجيش والعمال ، اضطرت الحكومة السوفياتية لاتخاذ تدابير التقشف فى توزيع الموارد الهزيلة من

الأغذية التي كانت تملكها البلاد : فاعتمد نظام لاقتطاع المواد الغذائية الزراعية كان الفلاحون يقدمون بموجبه الى الدولة فوائضهم من القمح لاجل الجيش والعمال. وكان لينين يقول : ان الحكم السوفياتى ، الذى يقوم فى قلعة محاصرة ، لا يستطيع الصمود بدون هـــذا النظام . وقد اعتمدت خدمة الزامية للعمل ، ولم تكن توزع الاغذية الا على الذين يعملون . وكان الامريتعلق بسياسة اقتصادية مسماة « شيوعية الحرب » .وكان ذلك تدبيرا مؤقتا ناتجا عما أصاب البلاد من حـــرب وخراب .

واجتمع المؤتمر الثامن للحزب فى ١٨ مارس ١٩١٩، وهو يوم كومونة باريس ، فى ابان الحرب ضدالمتدخلين الاجانب والثورة المضادة الداخلية . لقـــد أنجزت بروليتاريا روسيا ما حلمت به ، وما ناضل من أجـله رجال الكومونة . كان ذلك يبعث فى المندوبين حمية كبيرة ، ويعطى الايمان بانتصار الثورة الاشتراكية فى البلدان الاخرى . وقد قدم لينين الى المؤتمر تقريرا حول عمل اللجنة المركزية،وتقارير حول برنامج الحزب والعمل فى الريف . وكان لينين يشير الى أن الدولة السوفياتية تتابع بلا كلل سياسة سلم ، لـكن الدول البورجوازية تخوض كفاحا ضاريا ضدها . وبالتالى، فيجب تعزيز القدرة الدفاعية للجمهورية .

لقد كرس لينين الشطر الاعظم من تقريره للعمل فى الريف ، ولمسألة الموقف الواجب اتخاذه ازاء الفلاحين المتوسطين الذين كانوا يشكلون حينئـــذ الاكثرية فى البلاد . وكان لينين يرى انه بدون تحالف وطيد معهم، لا يمكن بناء الاشتراكية . وبناء على تقرير لينين ،قرر

المؤتمر متابعة سياسة تحالف وطيد مع فئة الفلاحين المتوسطين .

ان سياسة الحزب ، الهادفة الى تعزيز تحالف الطبقة العاملة مع الفلاحين المتوسطين والاستناد الى الفلاحين الفقراء لمكافحةالكولاك ، قد لعبت دوراحاسما من أجل هزيمة الامبرياليين والحرس الابيض ، وفى بناء الاشتراكية .

لقد أقر المؤتمر الثامن للحزب برنامجا جديدا للحزب يحدد مهماته بالنسبة لكل الفترة الانتقالية من الرأسمالية الى الاشتراكية . وقد أكد لينين فىتقريره عن البرنامج على أن هذا البرنامج يستند الى أساس علمى ، وانه يستلهم الواقع وسيكون مرشداً للطبقة العاملة والحزب لاجل بناء المجتمع الاشتراكى الجديد .

وقد صوت المندوبون الى جانب البرنامج بحماسة وبالاجماع ، ذلك لانه ، لاول مرة فى التاريخ ، كان برنامجا لحزب شيوعى حاكم ، يقوم بتحويل المجتمع على اسس اشتراكية .

ان لينين ، الذى كان يستغرقه العمل الجبار لبناء الدولة الاشتراكية والدفاع عن البلاد ، كان يجدالوقت لاستقبال العديد من وفود العمال والفلاحين الذين يمثلون الاحزاب الشيوعية الشقيقة . وكان لينينيعير أذنا مصغية لرفاقه فى العمل ، ولاعضاء الحزب العاديين .

كان لينين صاحب عناية وبشوشا . واندفاعا بحب حار الشعب ، صاغ لينين التدابير لانشاء دور صحة للشغيلة وتحسين عمل مدارس ومنشآت الاولاد .

وكان لينين يعلم جميع موظفى الحزب والسوفياتات انه ينبغى الاهتمام بالشغيلة .

وكان الشغيلة يجيبونه بنفس الحب . وكانت الرسائل تصله بالآلاف .

ولدى كلامه فى الاجتماعات والمهرجانات الجماهيرية كان لينين يعلم الشغيلة كيفية بناء الحياة الجديدة . وكان يخاطب عمال التعدين والمناجم والسكك الحديدية وعمال النسيج ، وكان لينين يتكلم ببساطة ويسير الى الهدف فى خط مستقيم . وكانت خطبه تستولى على الناس بحرارتها وقوة اقناعها وما ينبعث منها من ايمان لا يتزعزع فى قوى الشعب الشغيل .

ان ا . نيكيشين ، وهو عامل فى استثمارات باكو النفطية ، استقبله لينين مع عمال آخرين ، قد روى اثر ذلك ، قال : « لدى عودتنا من الكرملين ، كنا نتبادل انطباعاتنا . ان فلاديمير ايليتش لينين ، بعكس ماكنا نظن ، قد حدثنا عن أشياء عادية . وكان واضحا تماما انه يعيش حياتنا ، ويعرفنا ، وانه قد درس امكاناتنا، ونواحى ضعفنا . وكان يستلفت انتباهنا نحو هذه الامور . وقد دهشنا لبساطته العجيبة وروحه الودية الكبيرة . وبعد خمس دقائق ، كان يبدو لنا اننا نعرفه منذ زمن طويل جدا ، وكنا نتحدث معه ببساطة ، ودون قسر . وكانت هذه البساطة وهذا السحر يجعلانه لطيفا ووديا الى أقصى حد .. » كان العمال والفلاحون يسمون لينين تحببا « عزيزنا ايليتش » .

كان لينين يؤمن بالجماهير ، وكان يريد أن يشترك بسطاء الناس ، العمال والفلاحون ، على نطاق واسع

فى عمل الحزب ، والدولة ، وفى النشاطات النقابية . وكان يلح لكى تستوعب النساء فى العمل النشيط وكان لينين يقول : حين ستشترك ملايين النساء فى النشاطات العامة ، فان التشييد الاشتراكى سيسير فى خطى أكثر ثباتا . وكثيرا ما كان لينين يتكلم فى اجتماعات العاملات والفلاحات . وفى معرض اشارته الى أن الحكم السوفياتى قد حقق للنساء فى مهلة قصيرة ، أكثر مما حققته جميع الجمهوريات البورجوازية فى العالم خلال مئة عام ،كان لينين يدعو النساء للاشتراك بنشاط فى الدفاع وفى تشييد الدولة الاشتراكية .

كان لينين صديقا للشبيبة وكان يتابع بانتباه حركة الفتيان ، ويساعدهم فى اتخاذ موقف سياسى صحيح ، وتلبية لنصيحة لينين ، كان الحزب يرسل أفضل الشيوعيين القيام بالعمل السياسى بين الفتيان . وقد جرى تحت قيادته تشكيل اتحاد الشبيبة الشيوعية (الكومسومول) الذى يحمل الآن اسم « اللينينى »

فى سبيل الحركة الشيوعية العالمية

كان لينين ، يستخدم التجربة الثورية الهائلة للطبقة العاملة الروسية ، والحزب البلشفى والنظرية الثورية التى صاغها فى الشروط الجديدة لأجل مساعدة الحركة الشيوعية العالمية ، ولتنظيم الاممية الشيوعية .

كانت أحزاب شيوعية قد نشأت خلال النصف الثانى من عام ١٩١٨ فى عدة بلدان ـ فى المانيا والنمسا وفنلندا والمجر وبولونيا . وفى كانون الثانى عام ١٩١٩، دعا لينين عمال أوروبا وأميركا لتأسيس الأممية الثالثة . وفى مارس ١٩١٩ عقد المؤتمر الاول فى موسكو ، وكان لينين يقود اعمال المؤتمر . وقد قدم تقريرا عن

الديمقراطية البورجوازية ، وديكتاتورية البروليتاريا ، وتحدث عن الحكم السوفياتي .

وقد أثبت لينين ، بالاستناد الى تجربة الحكم السوفياتي في روسيا ، بأنه لايوجد حكم اكثر ديمقراطية من حكم الشغيلة الممارس بواسطة السوفياتات . وبفضل ديكتاتورية البروليتاريا بالذات انتصر الشعب السوفياتي على الثورة المضادة ، وعلى الغزو الامبريالي وشرع في بناء الحياة الجديدة .

وقد أعلن المؤتمر الأول تأسيس الأممية الثالثة . واشترك لينين كذلك في أعمال الكومنترن الأخرى : في المؤتمر الثاني عام ١٩٢٠ ، والثالث عام ١٩٢١ ، والرابع عام ١٩٢٢ . وكان يعمل في أهم لجانه ، ويتحدث عن مسألة الفلاحين ومسألة القوميات ، وعن قضايا الموقف ازاء الشعوب المضطهدة ، ولا سيما شعوب المستعمرات ، وعن دور وتكتيك الاحزاب الشيوعية ، ويصوغ مشاريع لقرارات الكومنترن الاساسية .

كان لينين وطنيا شديد الحماسة . وكان يحب حبا لا متناهيا ، شعبه ، والثقافة الروسية ، واللغة والادب الروسيين . وفي الوقت نفسه ، كان لينين امميا بروليتاريا كبيرا . وكان يجمع دائما بين مصالح الحزب البلشفي ، والطبقة العاملة ، وجميع الشغيلة الروس ، ومصالح ومهمات الحركة العمالية والشيوعية العالمية . وكان يعتبر الثورة في روسيا جزءا من الثورة الاشتراكية العالمية .

وكان لينين على اتصال وثيق بقادة الحركة الشيوعية والعمالية العالمية . وفي الرسائل التي كان

يكتبها اليهم كان يعبر عن ايمانه العميق بالانتصار الحتمى للديمقراطية الجديدة ، الاشتراكية ، فى جميع البلدان .

لقد حيا لينين تشكيل السوفياتات فى المجروبافاريا (فى ربيع عام ١٩١٩) ، وكان يساند قائد الثورة المجرية بيلا كون والشخصيات البارزة فى الحركة العمالية الالمانية . امثال كلارا زيتكن وفرانز ميهرنغ، وكذلك الثوريين البروليتاريين فى البلدان الأخرى .

وكان يهتم على الأخص بتعزيز وحدة الحركة الشيوعية العالمية . وبمتابعته بانتباه ، الوضع فى الاحزاب الشيوعية والاشتراكية ، كان لينين يعزز فى هذه الاحزاب بلا كلل وحدة العناصر الثورية حقا ، منتقدا فى الوقت نفسه جميع عمليات التشويه والافقار للماركسية . وكان يرى أنه من الضرورى تنمية الصلات بين الاحزاب الشيوعية والاحزاب العمالية الاخرى ، وتبادل الاعلام عن الوضع والنشاطات. وكل هذا كان يضعه هو نفسه موضع التطبيق .

ولأجل تعريف الأحزاب الشيوعية الفتية فى البلدان الأخرى بتجربة الشيوعيين الروس الف لينين عام ١٩٢٠ كتابا بعنوان « المرض الطفولى للشيوعية (اليسارية) » ، تحدث فيه عن تاريخ تأسيس وتطور ونضال وانتصارات الحزب البلشفى .

كتب لينين يقول : لقد كبر حزب البلاشفة وتوطد فى النضال ضد الانتهازيين الصريحين ، وضد المناشفة والاشتراكيين الثوريين والاعداء الاخرين للطبقة العاملة ، أعداء الماركسية . وقد تغلب على صعوبات

هائلة . وذلك بفضل انضباط حديدى فى صفوفه ، وصلته المباشرة بالجماهير ،ولأنهمرتكزبصورة ثابتة لا تتزعزع ، على نظرية الماركسية . ومع اعتباره الانتهازية اليمينية بمثابة الخطر الرئيسى فى الحركة العمالية ، فان لينين قد انتقد بقسوة اخطاء « اليساريين » فى الاحزاب الشيوعية ، الذين كانوا يفهمون بصورةخاطئة دور ومهمات الاحزاب الشيوعية ازاء الجماهير ويرفضون العمل فى البرلمانات والنقابات البورجوازية، ويرفضون أى اتفاق واية تسوية مع الاحزاب الاخرى . وكانوا يحلون عبارات ثورية محل الاعمال الثورية . وكان ذلك مضرا وخطرا على قضية الطبقة العاملة ومجمل الحركة الشيوعية العالمية ، وكان يؤدى الى انقطاع الحزب عن الجماهير . وكان لينين يشير الى أن على الشيوعيين العمل حيث توجد الجماهير .

وكان لينين يوصى باستعمال تكتيك مرن ، محذرا من التطبيق الجامد ، النمطى ، للحقائق العامة على المهمات الحسية . وقد ساعد مؤلف لينين الاحزاب الشيوعية فى التغلب على أخطائها ، والنضال بصورة افضل ضد اعداء الطبقة العاملة ، وفى أن تصبح أحزابا ماركسية متمرسة ،قادرة على جر الجماهير . وما زال هذا الكتاب يحتفظ بأهمية ضخمة بالنسبة لكل الحركة الشيوعية العالمية .

بانى المجتمع الاشتراكى

فى بدء عام ١٩٢٠ ، احرز الجيش الاحمر النصرعلى المتدخلين وعلى الثورة المضادة الداخلية فى جميع الجبهات تقريبا . واتيحت للبلاد هدنة ، فكرس لينين

والحزب البلشفي جهودهما على الفور للبناء الاقتصادي : ترميم وسائل النقل ، وصناعة الوقود وغيرهما من القطاعات الرئيسية .

كانت صياغة برنامج للتشييد الاقتصادي تتطلب عقد مؤتمر للحزب لأجل تحديد الطرائق والوسائل والتدابير الواجب اعتمادها للانتقال من الكفاح فى الحرب الى الكفاح السلمى فى سبيل انهاض وتطوير الاقتصاد الوطنى .

افتتح المؤتمر التاسع للحزب فى ٢٩ مارس ١٩٢٠ ، واستمر ثمانية أيام . وصعد لينين ثمانى مرات الى المنصة ، وفى التقرير السياسى للجنة المركزية حدد لينين للحزب هدف انهاض الاقتصاد . وبالاستناد الى توجيهاته ؛ بحث المؤتمر وضع برنامج اقتصادى موحد يكرس فيه المكان الاساسى لكهربة البلاد .

وعبر الخراب والاجتياح والبؤس ، كان لينين يلمح المستقبل المهيب لبلاد السوفيات . وكان على اقتناع عميق بأن النظام السوفياتى ينطوى على مصدر لا ينضب للقوى ، لأجل تحقيق الانتصارات والتشييد الاشتراكى على حد سواء .

وكان لينين يشير الى أنه لأجل بناء الاشتراكية والشيوعية ، ينبغى تطوير الصناعة الكبيرة ، وكهربة البلاد . « الشيوعية هى الحكم السوفياتى مضافا اليه كهربة البلاد بأسرها » .

كان اعداء روسيا السوفياتية يؤكدون حينئذ بأن الحزب البلشفى والشعب لن يتمكنا من التغلب على الصعوبات ؛ وانه لن يمكن مجرد البحث فى تحقيق

الكهربة . وحتى هربرت ويلز ، الكاتب البريطانى الكبير للعلم التخيلى ، لم يكن يستطيع أن يفهم المخطط العظيم الذى وضعه لينين . لقد جاء ويلز الى موسكو عام ١٩٢٠ ، وتحدث مع رئيس الدولة السوفياتية ووصف لينين بأنه « حالم الكرملين » . ولم ير الكاتب البريطانى فى المشروع الجسور لكهربة روسيا سوى « طوباوية كهربائية » . وقد قال له لينين « عد بعد عشر سنوات ، وسترى ما يكون قد تحقق فى روسيا خلال هذه الفترة » .

فى مطلع عام ١٩٢٠ ، وبمبادرة من لينين ، تشكلت لجنة باشتراك أفضل العلماء والمهندسين ، برئاسة عضو قديم فى الحزب وهو غ. كرجيجانوفسكى . أن رسائل وبطاقات لينين العديدة الى كرجيجانوفسكى ول كلاسون و أ. فنتر وغيرهم من كبار علماء البلاد ، تبين كيف كان لينين يقود عمل هذه اللجنة . وفى عام ١٩٢٠ الصعب ، قدم الحزب الشيوعى بقيادة لينين برنامجا جبارا لانهاض القوى المنتجة للجمهورية على أساس الكهربة . وقد تقرر فى هذا البرنامج بناء ٣٠ محطة كبرى لتوليد الكهرباء ، خلال ١٠ــ١٥ عاما ، وزيادة انتاج الطاقة الكهربائية اكثر من ١٧ مرة بالنسبة لما كانت عليه عام ١٩٢٠ ، وزيادة مجمل الانتاج الصناعى بمقدار ١٥ مرة .

كان لينين يعتبر هذا البرنامج بمثابة أساس للعمل الاقتصادى للحزب ، وبمثابة برنامج ثان له ، وقد شرع فى تطبيق البرنامج اللينينى لكهربة البلاد ، وذلك فى نفس العهد ، أى فى سنوات الخراب الاقتصادى والكفاح ضد الاعداء الخارجيين والداخليين . وكانت

كبيرة بهجة لينين حين اضاءت المصابيح الكهربائية بحضوره فى قرية كاشينو الصغيرة ، « مصابيح ايليتش » كما سماها الشعب تحببا اثر ذلك .

لقد حقق البرنامج فى مهلات قصيرة جدا . واستطاع ويلز أن يتأكد من ذلك ، بنفسه حين عاد الى الاتحاد السوفياتى عام ١٩٣٤ .

وتم صد آخر هجوم للامبرياليين عام ١٩٢٠ . وانتهت الحرب الأهلية بانتصار تاريخى للشعب السوفياتى ، انتصار ذى أهمية عالمية . لقد قاد الحزب الشيوعى بزعامة لينين الشعب السوفياتى بشجاعة وبراعة عبر جميع صعوبات الحرب الأهلية . وقد قامت صعوبات جديدة وكبيرة على طريق البناء الاقتصادى .

كان الاقتصاد الوطنى قد أصيب بالخراب ، ولم تعد الصناعة تنتج سوى سبع انتاجها الضعيف فى فترة ما قبل الحرب ، وقد عانت بصورة خاصة المناطق التى عاث فيها فسادا الحرس الأبيض والغزاة الأجانب . وكان أغلب المؤسسات قد شل بسبب فقدان الوقود والمواد الاولية . وكان ينتج على أساس الفرد من السكان اقل من كيلو من الحديد الصب وأقل من متر من القماش كل عام . وكانت نقليات السكك الحديدية مفككة تماما . ولم يكن لدى العمال فى المدن اى شيء تقريبا يقتاتون به .

فى هذه الساعة العصيبة بالنسبة للبلاد ، ظهرت حكمة لينين وبعد نظره بقوة جديدة . واقترح أجراء انعطاف حازم فى السياسة الاقتصادية للحزب والدولة السوفياتية . فكانت السياسة الاقتصادية

الجديدة(الـ ن.ى.ب) التى صـــاغها لينين تطويرا للبرنامــج الذى رســـمه منذ عام ١٩١٨ فى كراسه « مهمات الحكم السـوفياتى المباشرة » .

وكان لينين يوضح بأنه ينبغى بدء الانهاض الاقتصادى بالزراعة ، اذ أنها لم تكن تتمكن من سد حاجات المراكز الصناعية من القمح والمواد الاولية .

كان لينين يقول : « ان الاستثمارة الفلاحية الصغيرة هى الغالبة فى بلادنا . وعلى الطبقة العاملة ان تعتاد العيش مع ملايين الفــلاحين . وأن تعيــد تربيتهم ، وأدماجهم فى التشييد الاشتراكى . الا انه لم يكن ممكنا القيام بذلك الا باتباع سياسة اقتصادية جديدة . ففيم كانت تقوم هذه السياسة ولماذا سميت جديدة ؟

لقد اقترح لينين ابدال نظــام اقتطاعات الأغــذية الزراعية بنظام الضريبة العينية ، والسماح بالتجارة الخاصة لفوائض القمح والمنتجات الأخرى ». وقــد عين كمهمة للحزب تنظيم التجارة بصورة افضـــل ، وإعادة تنظيم التعاونيات ، وكان يطالب الشيوعيين بأن يتعلموا ممارسة التجارة ، وتموين العمــال والفلاحين بســلع أفضــل وارخص ســـعرا مما كان يفعلــه الرأسماليون ، وستكون مصلحة الفلاحين حينئــذ ان ينتجوا المزيد من القمح ، مما سيعطى دفعــا لتطــور الاقتصاد الوطنى كله . وكان لينين يوضح بأن «النيب» ستؤدى الى تحالف اقوى بين الطبقة العاملة والفلاحين .. والى تعزيز الحكم السوفياتى .

وانعقد المؤتمر العاشر للحزب فى عام ١٩٢١ ، وقد اقر اقتــراح لينين حول الانتقــال الى السياســة

الاقتصادية الجديدة . لقد كانت السياسة الاقتصادية الجديدة هى وحدها الصحيحة فى فترة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية . وفى البدء ، كانت « النيب » تشكل بعض التراجع . لانها كانت تسمح مجددا بالتجارة الخاصة ، والعمل المأجور ، مما كان يؤدى الى انبعاث جزئى للرأسمالية ، لكن هذه الخطوة الى الوراء كانت مؤقتة ، وبلا خطر على النظام السوفياتى . كانت السلطة فى أيدى العمال والفلاحين . وكانت الصناعة ، والأرض ، والبنوك ، والسكك الحديدية ، والنقليات النهرية والبحرية ملكا للدولة .

كان للصعوبات التى تجتازها البلاد فى ذلك الحين انعكاساتها السلبية ايضا على الحزب الشيوعى . وعند نهاية عام ١٩٢٠ ، كان الحزب يضم اكثر من ٥٠٠ ألف عضو ، وكان العمال فيه اقل من النصف ، والفلاحون يشكلون الربع ، والباقى كان يتألف من مستخدمين وحرفيين ومثقفين . وكان مناشفة واشتراكيون ثوريون قدامى قد تسللوا الى الحزب . وكان بعض الأعضاء مترددين . وقد شددت الكتل المعادية للحزب ، بقيادة تروتسكى وبوخارين وغيرهما من الانقساميين ، نشاطاتها ، وكانت هذه الكتل تقاوم خط الحزب فى القضايا المتعلقة بطرق البناء الاشتراكى ، وبدور النقابات . وكانت المعارضة تنتهك انضباط الحزب وتسعى لتقسيمه .

لقد راى لينين الخطر فى الوقت المناسب . وكان يعلق اهمية خاصة على وحدة الحزب ، أحد المصادر الاساسية لقوته . فالانقسام داخل الحزب ،

حسب رأي لينين ، كان سيؤدي حتما الى انفصام التحالف بين الطبقة العاملة والفلاحين ، وكان الحكم السوفياتي سينهار لتعود الرأسمالية الى بلادنا .

وأقر المؤتمر القرار المقترح من قبل لينين حول تقوية وحدة الحزب ، وأعلن أن كل عضو من أعضائه ، بما في ذلك اللجنة المركزية ، قابل للعزل بسبب النشاطات التكتلية . وتمت المصادقة على القانون القاضي بأبدال نظام الاقتطاع بالضريبة العينية .

وكان لينين يسهر باستمرار على تطبيق القرارات المتخذة . وكان يعين كيف ينظم الانتاج الزراعي بصورة أفضل وتزاد انتاجيته . وكان لينين يساند بجميع الوسائل القطاع الاشتراكي في الزراعة ، ويدرس بانتباه نشاط تعاونيات الدولة (السوفخوزات) . وكان يقول : هذه زراعة بروليتارية حقا . وكان يساند الاستثمارات الجماعية (الكولخوزات) ، مشددا في الوقت نفسه ضد أي تسرع في هذا الميدان .

لقد كتب لينين كراس « بصدد الضريبة العينية » ومقالي « من أجل الذكرى السنوية الرابعة لثورة اكتوبر » و « حول أهمية الذهب الآن ، وبعد انتصار الاشتراكية الكامل » ،وقدشرح فيها للعمال والفلاحين بالتفصيل جوهر السياسة الاقتصادية الجديدة ، وكيف ينبغي تطبيقها . وبالاستناد الى توجيهات لينين ، عمل الحزب في انهاض الاقتصاد الوطني وتحسين مستوى معيشة الجماهير وانهاض صناعات الفحم والنفط والتعدين . وقد بنيت المحطات الاولى لتوليد الكهرباء تحت الاشراف المباشر للينين . التمويل الذاتي ، وريعية الانتاج ، واثارة الحافز المادي للشغيلة نحو

نتائج العمل ، وتشجيع اقتصاد الوسائل المادية ، واتقان الانتاج ، كان لينين يعتبر كل هذا هاما الى اقصى حد بالنسبة لانهاض وتطوير الصناعة . وفى الوقت نفسه ، كان يعتبر بمثابة شيء لا غنى عنه جعل الشغيلة اكثر وعيا ، وترسيخ الحس بالمسؤولية لديهم .

كان الحزب والحكومة السوفياتية يعملان من أجل تعزيز القيادة المبرمجة المركزة للاقتصاد الوطنى دامجين اياها بتطوير المبادرة فى القاعدة . أن الرسائل التى وجهها لينين الى كرجيجانوفسكى ، وكان حينئذ رئيسا لهيئة التخطيط التابعة للدولة ، تظهر بأن لينين كان يعرف حق المعرفة سير عمل هذه الهيئة ، ومدى الحاجه على أن تطابق البرمجة الحاجات وأن تستند الى العلم والى التجربة العملية الطليعية للجماهير .

كان لينين يحسن أن يميز كل ما يعد بالتقدم وكل ما له مستقبل فى تطور العلم والتكنولوجيا . وكان يهتم اهتماما شديدا باستخدام الكاشطات فى مناجم الدونباس ، وبالطرائق المائية لاستخراج التورب ، الخ . وقد حفظ مقدار كبير من الوثائق التى تشهد باهتمامه الهائل بالابتكارات ومساندته للمخترعين .

وكان لينين يولى انتباها كبيرا لتنظيم الادارة ، ولعمل جهاز الدولة . وكان يسخط سخطا شديدا على الشكلية والبطء البيروقراطى ونقص الانضباط فى عمل الادارات . وكان يشترك بنشاط فى صياغة القوانين السوفياتية ، ويناضل لأجل التقيد بالشرعية الثورية . وكان ينصح بالتحقق اولا من كل تدبير مهما كانت أهميته .

كان لينين يعرف أفضل من أى كان ، ملاكات السوفياتات والحزب ، ولا سيما تلك التى كان يعمل معها . وكان يقدر فى الملاكات اخلاصها للشيوعية ، ومعرفتها المهنة ، والصلابة فى تطبيق نهج الحزب ، وفى الوقت نفسه ، مرونتها ، ولباقتها ، وانتباهها . وكان يشجب بحزم الادارة بواسطة الاوامر والفظاظة ازاء الرفاق والمرؤوسين .

بالرغم من المرض

ان الجهد الشديد ، والجرح الخطر الذى أصيب به لينين عام ١٩١٨ (ظلت احدى الرصاصات فى جسمه ولم تستخرج) زعزعا صحة لينين . وابتداء من شتاء ١٩٢١ ، اجبر بناء على الحاح الاطباء المستمر ، على وقف عمله مرارا كثيرة ، والتعالج والراحة . وفى عام ١٩٢٢ ، ساءت حالته الصحية . بيدانه بالرغم من المرض ، كان يضطلع يوميا بشئون الدولة .

فى مارس ١٩٢٢ ، تكلم لينين فى المؤتمر الحادى عشر للحزب ، وفى التقرير السياسى للجنة المركزية ، الذى عهد الى لينين بوضعه ، وضع حصيلة العام الاول من الـ « ن.ى.ب » (السياسة الاقتصادية الجديدة) . وقد أكد فيه لينين على أن النهوض قد بدأ في جميع قطاعات الاقتصاد الوطني ، وان تحالف الطبقة العاملة والفلاحين قد تعزز . بيد إن لينين قد انتقد النواقص ، واعطى مثالا للانتقاد والانتقاد الذاتى البلشفيين الهادفين الى تحسين نشاط هيئات السوفياتات ، والحزب ، والادارة . واعلن بأن فترة التراجع قد انتهت ، وانه ينبغي الان الانتقال الى الهجوم ضد العناصر الراسمالية . ولدى ابرازه دور

الحزب فى تشييد الحياة الجديدة ، تنبأ بأنه ما من قوة فى العالم تستطيع ان تنتزع من الشعب مكاسب ثورة أكتوبر ، ذلك لأن لها قيمة تاريخية عالميةشاملة .. وكان ذلك آخر مؤتمر للحزب يتكلم فيه لينين .

وفى الصيف ، استقر لينين فى جوركى ، قرب موسكو ، وفى نهاية مايو ، أصيب بنكسة خطيرة .

وقد أرسل اليه العمال والفلاحون من جميع انحاء البلاد رسائل مفعمة بالتأثر معبرين فيها عن حب حار وتمنيات بالشفاء التام ، واثر بعض التحسن ، استأنف لينين مراسلاته السياسية عند منتصف يوليو وطلب كتبا .

وفى أكتوبر ، استأنف العمل ، فرأس جلسات مجلس مفوضى الشعب ، واشترك فى جلسات اللجنة المركزية للحزب ، والقى خطبا .

وفى المؤتمر الرابع للكومنترن ، فى ١٣ نوفمبر ١٩٢٢ ، قدم لينين تقريرا بعنوان « خمسة اعوام من الثورة الروسية ، وآفاق الثورة العالمية » . وقد عرض للمندوبين انجازات الحكم السوفياتى على أساس سياسة الـ « نيب » . وقال لينين انه بفضل الحزب الشيوعى ، والعمل البطولى للجماهير الشعبية ، احرزت الجمهورية السوفياتية ، على هذا الاساس ، نهوضا اقتصاديا عاما . وتعزز النظام المالى ، وانتعشت التجارة ، وتوطدت الزراعة ، وتحققت خطوة الى الامام فى انهاض الصناعة الخفيفة ،وجرى انعطاف فى الصناعة الثقيلة ، فى حين أن وضع العمال قد تحسن وسجلت نواحى التقدم فى الميدان الثقافى . وقدادرج

لينين هذه النجاحات فى الحصيلة الايجابية لسياسة الحزب الشيوعى والدولة السوفياتية .

وقد انهى لينين خطابه داعيا المندوبين الى استيعاب تجربة الحزب البلشفى ودروس الثورة الروسية ، لا بصورة جامدة عقائديا ، بل بصورة خلاقة .

وفى ٢٠ نوفمبر ، فى الدورة العامة لسوفيات موسكو ، رسم لينين لوحة لوضع البلاد بعد هزيمة الحرس الابيض والمتدخلين ، وعين المهمات الموضوعة امام الشعب ، ووسائل حلها ، ودعا للقيام بادارة عقلانية . وأكد بصورة خاصة على دور الحزب فى تشييد المجتمع الاشتراكى واعرب عن اليقين الراسخ بأن روسيا اشتراكية ستخرج من روسيا الـ « نيب » . وكان ذلك آخر خطاب يلقيه لينين .

لقد ناضل لينين دائما ضد الاضطهاد القومى واللامساواة ، الملائمين جدا للمستثمرين (بكسر الميم) .. وبعد انتصار اكتوبر ، اهتم لينين باستمرار بتطوير الجمهوريات الوطنية ، وكان يرى فى الصداقة بين الشعوب ضمان توطيد الدولة السوفياتية . وقد وضع مهمة اعادةتوحيد الجمهوريات السوفياتيةداخل دولة اتحادية .

ولكن كيف العمل لاعادة توحيدها وعلى أى أساس ؟ لقد توقف بالتفصيل عند هذه المسألة فى رسائله الى أعضاء المكتب السياسى للجنة المركزية للحزب الشيوعى (البلشفى) الروسى ، هذه الرسائل المعروفة بعناوين « انشاء اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية » و « مسألة القوميات أو الحكم الذاتى » .

وكان لينين يوضح بأنه ينبغي انشاء اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية ، هذا الاتحاد الطوعي بين امم متساوية في الحقوق ، ومستقلة ، المرتكز على مبادىء الاممية البروليتارية . وكان يثبت بذلك ضرورة انشاء دولة متعددة القوميات لم يسبق لها مثيل في التاريخ ، تقوم على أساس الصداقة بين الشعوب .

أن المؤتمر الأول لسوفياتات اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية (ديسمبر ١٩٢٢) الذي سجل في الواقع العملي الافكار اللينينية ، قد قرر انشاء اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية . وانتخب لينين رئيسا لمجلس مفوضي الشعب للاتحاد السوفياتي .

وبعد تفاقم صحة لينين في ديسمبر ١٩٢٢ عادت صحته فتحسنت بعض الشيء في يناير - فبراير ١٩٢٣ . وفي تلك الفترة املى لينين مقالاته المشهورة الاخيرة : « رسائل الى المؤتمر » ، « أوراق كراس » ، « حول التعاون » « حول ثورتنا » ، « كيف نعيد تنظيم التفتيش العمالي والفلاحي ؟ » ، « القليل أفضل ، ولكن اذا كان أفضل » التي تشكل وصيته السياسية .

ان الارادة التي لاتتزعزع ، ووعي مسؤوليته ، وكون الحزب ومستقبل بلاد السوفيات شغله الشاغل، قد منحت لينين القوة للتغلب على آلامه والتحقيق ماكان يبدو مستحيلا على الامكانات البشرية ، أي أن ينشيء ، بالرغم من الآلام التي لا تطاق ، مجموعة من المؤلفات المرموقة ، خلال شهر ونصف الشهر فقط .

برنامج تشييد الاشتراكية

ان مقالات ورسائل لينين الاخيرة مترابطة ترابطا وثيقا فيما بينها وتشكل في الواقع عملا متلاحما ينجز صياغة برنامج واسع جدا لتشييد الاشتراكية في الاتحاد السوفياتي ويعرض الخطوط الرئيسية لبرنامج التحويل الاشتراكي لروسيا في ضوء الافاق العامة لحركة التحرر العالمية .

وفي حين كان تروتسكي وانصاره يؤكدون بأن الشروط غير متوفرة في روسيا لبناء الاشراكية ، برهن لينين علميا على ان البلاد تملك كل ماهو ضروري لضمان انتصار هذا البناء . وكان يشير الى ان المهمة الرئيسية ، هي انهاض وتطوير الصناعة ، ولاسيما الصناعة الثقيلة ، وسد التخلف التكنيكي والاقتصادي ، والتقدم للسير في طليعة بلدان العالم .

ولأجل هذا كان ينبغي تصنيع وكهربة البلاد ، وتحسين انتاجية العمل .

ولأجل بناء الاشتراكية ، كان لينين يرى أنه ينبغي تعزيز تحالف الطبقة العاملة والفلاحين . وعلى الطبقة العاملة أن تقود الفلاحين ، وجعلهم يشتركون في بناء الاشتراكية ، كما ينبغي مساعدة الفلاحين في تحويل الاستثمارات الفردية المجزاة الى استثمارات جماعية كبرى ممكننة . والطريق الوحيدة التي تتيح اشراك الفلاحين في بناء الاشتراكية هي التعاون . اذ يمكن فيه الجمع بين المصلحة الشخصية للفلاح والمصالح العامة للدولة وللمجتمع بأسره ، وعلى الدولة السوفياتية ان تشجع التعاونيات بتقديم الجرارات وغيرها من الماكينات الزراعية لها .

كان لينين يجمع ما بين بناء الاشتراكية والثـورة الثقافية . وكان يطلب عدم الضن بالاعتمادات المخصصة للتعليم العام ، ويعين للحزب مهمة القضاء على الأمية في مهلة قصيرة ،وتوسيع شبكة المدارس الابتدائية ، والثانوية ، والعالية ، وتنشيط جميع الابحاث العلمية في جميع الميادين ، وتكوين مثقفين شعبيين . وفى الوقت نفسـه ، كان يدعو الى عدم التخلى عن أفضل انجازات الثقافة العالمية . بل كان يطلب الاسـتناد اليهـا .

وهكذا فان الحلقات الاساسية للبرنامـج اللينينى لتشييد الاشتراكية كانت تصنيع البلاد ، والاصلاح الزراعي الاشتراكى بفضل التعاون ، وتنفيذ الثـورة الثقافية .

وكان يبين أن الدولة البروليتـارية ، هى الاداة الاساسية فى بناء الاشتراكية . أن السلطة السوفياتية، بعد تدميرها جهاز الدولة القديم ، قد انشأت جهازا جديدا ، مشركة فيه على نطاق واسـع الجماهير الشغيلة ، وهذا مكسب تاريخى جبار . الا أن بعض حلقات الجهاز تعمل بصورة سيئة ، فى البدء . اذ لم تكن لدى الملاكات السوفياتية الفتية الخبرة الضرورية

كان لينين يعلم الجماهير بلا كلل ادارة الدولة ، ويمهد لها تعلم واستيعاب تكنيكات الادارة ،وكان يكافح بقوة ضد البيروقراطية ، واللامبـالاة ازاء حاجات ومصالح الشغيلة ، كما كان يكافح ضد الشكلية . وكان يظهر مثال التنظيم ، وكانت جلسـات مجلس مفوضى الشعب التي يراسها ملأى بالاعمال دائما بصورة جيدة.
ولم يكن لينين يصل متاخرا ابدا ولو دقيقة واحدة ،

وكان يطلب بتشدد من مقدمي التقارير وسائر المتكلمين في الاجتماعات وقائع دقيقة ومستوثقا منها ، وارقاما وموضوعات واضحة . ولم يكن يطيق العبارات العامة والبيانات الغامضة ، والمعلومات المشوشة ، غير الدقيقة . وكان يصغى بانتباه الى الممثلين المحليين ، الى رأى القاعدة .

كان لينين يقدر ويشجع الجماعية في العمل ، وكان يعتبر شيئا غير صحيح البت بالقضايا الهامة بصورة شخصية ، دون مناقشتها في اللجنة المركزية للحزب أو في مجلس مفوضي الشعب . وكان يحصل دائما على دراسة اجمالية للمسألة وعلى قرار جماعي . وكان يعتبر القيادة الجماعية بمثابة مبدأ أساسي لقيادة الحزب والدولة .

وفي الوقت نفسه ، كان يوضح بأن القيادة الجماعية لا تستبعد ، بل بالعكس تستلزم مسؤولية شخصية مشددة عن المهمة المنجزة . وكان يتطلب من جميع المناضلين في السوفياتات وفي الحزب المبادرة ، والمسؤولية الشخصية الدقيقة ، والتقيد الدقيق بقوانين السلطة السوفياتية ومراسيمها ، والتحقق مما ينتج عن ذلك في الواقع ، حسب تعبيره . وكان يضع متطلبات خاصة امام الشيوعيين . وكان يؤكد على قوله : ان أعضاء الحزب ليست لهم اية افضلية أو امتياز على الشغيلة الاخرين ، وليس لديهم سوى واجبات أكبر .

ان لينين بمطالبته مسؤولي السوفياتات والحزب بالانضباط الأشد دقة ، كان هو نفسه نموذجا للانضباط . وكان يرى أن واجبه الذي لا جدال فيه هو تنفيذ مقررات الحزب . أن القوانين السوفياتية

وقواعد الحياة فى المجتمع الاشتراكى الزامية للجميع. ولم يكن لينين يوافق على أن تنتهك القواعد من قبل أى كان .

وكان يتحلى بمزايا انسانية رائعة : التواضع ، والبساطة ، والحساسية ، ولم يكن يتحمل التملق .

ولم يكن لينين ، فى مقالاته الاخيرة ، يكل عن التفسير بأن مما لا غنى عنه ممارسة سياسة خارجية سلمية ، والنضال بعناد من أجل السلم ، واقامة صلات أعمال مع البلدان الرأسمالية ، ومتابعة المباراة الاقتصادية بين النظامين الاشتراكى والرأسمالى . وكان يؤمن ايمانا راسخا بأن الاشتراكية ، كنظام اكثر تقدما ، ستنتصر فى النهاية فى جميع البلدان . وفى الوقت نفسه ، كان يدعو البلاد الى الحذر دائما ، والى تعزيز دفاعها ، والى تقديم جميع انواع العناية الى الجيش الأحمر .

وفاة لينين

فى مطلع مارس ١٩٢٣ ، ساءت صحة لينين بصورة خطيرة ، وفى مايو ، عاد الى جوركى ، وكان الحزب ، والعمال والفلاحون ، يتابعون فى قلق تطور صحته ، وحدث بعض التحسن فى منتصف الصيف وفى ١٩ اكتوبر جاء الى موسكو ، الى الكرملين .

ويروى شهود العيان كيف قضى لينين ذلك اليوم . لقد دخل الى مسكنه ، وألقى نظرة على قاعة اجتماعات مجلس مفوضى الشعب ، التى كانت ملاصقة للمسكن، ولبث بعض اللحظات ساكنا ، ملقيا نظرة دائرية ، ثم دخل الى مكتبه ، واختار بعض الكتب من المكتبة ، ونزل الى باحة الكرملين ، ثم صعد الى السيارة ، وارتاد

شوارع موسكو الرئيسية ، ثم دار من ناحية معرض روسيا الزراعى . واستمرت هذه النزهة ساعتين . وكانت مثل وداع للعاصمة .

وفى ٢١ يناير ١٩٢٤ ، فى الساعة السادسة والدقيقة الخمسين مساء ، توفى لينين اثر نزيف دماغى .

وسرعان ما انتشر النبأ المحزن فى أرجاء البلاد ، وفى العالم بأسره .

وقد جاء فى نداء اللجنة المركزية للحزب الى الشعب ، بهذه المناسبة : « أن كل ما فى البروليتاريا من عظيم وبطولى حقا ، الذكاء الجسور ، والادارة الحديدية ، التى لا تتزعزع ، والبغض المميت للعبودية وللاضطهاد ، وحماسة ثورية تحرك الجبال ، وثقة غير محدودة فى قوى الجماهير الخلاقة ، وعبقرية تنظيمية جبارة ، كل هذا قد تجسد بصورة رائعة فى لينين ، الذى أصبح اسمه رمزا للعالم الجديد ، من الغرب الى الشرق ، ومن الجنوب الى الشمال » .

وفى ٢٣ يناير ، نقل النعش الى موسكو ، ووضع فى قاعة الاعمدة بدار النقابات . وطوال ٩٦ ساعة ، ليلا ونهارا ، وبالرغم من البرد الشديد ، مر فى قاعة الاعمدة مئات الآلاف من العمال والفلاحين والجنود والمستخدمين والموظفين ووفود الشغيلة القادمين من جميع انحاء الاتحاد السوفياتى ، والأطفال والشيوخ ، مروا ليحيوا التحية الأخيرة لينين العظيم . وكان الحزن الشعبى بلا حدود .

وعقدت فى قاعة مسرح البولشوى جلسة المؤتمر الثانى لسوفياتات الاتحاد السوفياتى ، المكرسة لذكرى لينين ، فى ٢٦ يناير .

واتخذ المؤتمر قرارا بتخليد ذكرى لينين ووجه نداء الى البشرية الكادحة . ونوه بأن افضل نصب للينين سيكون النشر الواسع بين الجماهير لمؤلفاته التى تحمل الأفكار الشيوعية عبر العالم .

وبناء لطلب من عمال بتروجراد ، اتخذ المؤتمر قرارا بتغيير تسمية مدينة بتروجراد الى « لينينجراد » .

وجرى تشييع جثمان لينين فى ٢٧ يناير الساعة الرابعة بعد الظهر . ووضع النعش فى الضريح الذى بنى خصيصا فى الساحة الحمراء .

لقد ودع الشعب السوفياتى زعيمه فى أكبر حزن وحداد . وتوقفت البروليتاريا العالمية عن العمل لمدة خمس دقائق وتوقفت جميع وسائل النقل .وكف العمل فى المصانع : كان شغيلة العالم بأسره يوجهون التحية الأخيرة لصديقهم والمدافع عنهم فلاديمير لينين .

لقد كانت وفاته خسارة فادحة تصيب الحزب ، والطبقة العاملة فى الاتحاد السوفياتى ، وكل الحركة الشيوعية والعمالية العالمية . وقد زاد الحزب توثيق صفوفه حول اللجنة المركزية ، وتراصت الطبقة العاملة، والجماهير الكادحة حول الحزب اللينينى . وقداعلن عشرات الالاف من العمال حينئذ عن رغبتهم فى الانتساب الى الحزب ، واطلقت اللجنة المركزيةللحزب شعار « فوج لينين » . وخلال بضعة أسابيع ، انضم الى الحزب اكثر من ٢٤٠ الف عامل .

ان الحزب الشيوعى الذى كونه ورباه لينين ، قاد الشعب السوفياتى فى الطريق اللينينية ، متبعا بأمانة واخلاص ارشادات لينين ، ومخلصا لمذهبه ومطوراًاياه فى ضوء التجربة المتراكمة .

تحت راية اللينينية

لقد دخل لينين التاريخ كنظرى عبقرى للثـــورة البروليتارية والتحويل الاشتراكى للمجتمع . وقد ترك للحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفياتى ، وللحركة الشيوعية العالمية ، مذهبا ثوريا عظيما هو : اللينينية .

خلال ثلاثين عاما من النشاط السياسى ، كتب لينين مئات الكتب والكراريس ،وآلاف المقالات والرسائل .

والقى عددا لايحصى من الخطب فى مؤتمرات الحزب والاجتماعات والاحتشادات الجماهيرية . ومنذ قيام الحكم السوفياتى ، صدرت أعماله فى عدد ضخم جدا من النسخ ، كمؤلفات كاملة ، وفى مختـــارات ، وطبعات منفصلة ، الخ .

وفى عام ١٩٦٥ انجز نشر مؤلفاته الــكاملة فى ٥٥ مجلدا ، تجمع تراث الأفكار اللينينية العظيمة : وهى تضم قرابة تسعة آلاف نص . ومؤلفات لينين منتشرة انتشارا واسعا فى الخارج ، وقد نشرت بأكثر من مئة لغة من لغــات العــالم .

ان أعماله تسجل مرحلة جديدة فى تطوير الماركسية فى عهد انهيار الراسمالية ، عهد انتصار الاشتراكية والشيوعية ، فى نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين .

لقد طور لينين الماركسية بصورة خلاقة ، واغنــاها بموضوعات جديدة . لذلك فمن العبث معارضـــة اللينينية بالماركسية ، كما يفعـــل الايديولوجيـــون البورجوازيون والمحرفون على اختلاف انواعهـم . ان اللينينية ، هى بالضبط الماركسية المطورة فى جميع الميادين من جانب لينين فى الظروف التاريخية الجديدة اللينينية هى ماركسية عصرنا .

الماركسية اللينينية ليست مذهبا جامدا . بل هي في تطور مستمر ، وكان لينين يوصي بعدم حفظ موضوعات الماركسية عن ظهر قلب ، وبان لا يجعل منها طقس جامد ، بل كان يوصي بتطويرها بصورة خلاقة ومعرفة تطبيقها طبقا للوضع التاريخي .

يعرف التاريخ عددا لا بأس به من المذاهب السياسية التي حاولت تفسير معنى الظاهرات الاجتماعية والتنبؤ بالمستقبل ، لكنها فشلت جميعا . ان الماركسية اللينينية هي وحدها التي تؤكد صحتها الوقائع والأحداث ، وهي التي تفرض نفسها في جميع بلدان العالم ، في فئات متزايدة الاتساع من المجتمع .

انها النظرية الوحيدة للتطور الاجتماعي ، التي صمدت لجميع تجارب الزمن .

لماذا يتمتع مذهب ماركس وانجلس ولينين بمثل هذه القدرة على الحياة ؟ ذلك لأنه يعبر عن المصالح الأساسية للطبقة العاملة ، الطبقة الأكثر ثورية ؛ ولأنه يقدم أجوبة علمية على المسائل الرئيسية للحياة ونضال جميع الشغيلة والشعوب المضطهدة . ان قوة الماركسية اللينينية التي لا تغلب ، واهميتها الكبرى تكمنان في واقع انها تعكس التطور الاجتماعي ، وتتيح ليس فقط فهم الماضي ، والحاضر ، بل التنبؤ أيضا بالمستقبل . ان المذهب الماركسي هو مطلق القدرة لأنه صحيح . ذلك ما كان يؤكد عليه لينين .

لقد دخل لينين التاريخ بصفته اكبر قائد للثورة البروليتارية ، ومؤسس وقائد الحزب البلشفي .

ان شعوب الاتحاد السوفياتي مدينة بانجازاتها الجبارة الى لينين ، والى اللينينية ، والى الحزب العظيم الذي انشاه .

لقد أتاح انتصار اكتوبر تحقيق مثل الاشتراكية . وخلال مهلات تاريخية وجيزة ، تغلبت البلاد على تخلفها الذى دام قرونا ، فأصبحت دولة جبارة عالية التطور . وتحت قيادة الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفياتى ، كان الشغيلة السوفياتيون أول من أنشأ مجتمعا اشتراكيا ، وشرع فى بناء الاشتراكية .

ان المجتمع الاشتراكى المشيد فى الاتحاد السوفياتى هو مجتمع قائم تحت شعار « من كل حسب قدرته ، ولكل حسب عمله » . ان علاقات الانتاج الاشتراكية تضمن تطويرا مبرمجا وثابتا لمجمل الاقتصاد الوطنى على مستوى تكنيكى عصرى .

والاشتراكية لم تغير فقط طابع النظام الاقتصادى بل لقد قلبت ايضا رأسا على عقب طبيعة وتركيب الطبقات التى تكون المجتمع السوفياتى . فالدور القيادى يعود الآن للطبقة العاملة . وقد وزث العامل السوفياتى أفضل مزايا البروليتاريا الثورية .

ان الاشتراكية ، والملكية الجماعية لوسائل الانتاج ، والعمل الجماعى ، قد أنشأت ناسا جددا فى الريف السوفياتى : هم الفلاحون الكولخوزيون . ان الفلاحين الكولخوزيين ، المتحالفين مع الطبقة العاملة ، يشكلون القوة السياسية الهامة فى حياة المجتمع .

ويقوم المثقفون الشعبيون ، المرتبطون ارتباطا لا يتزعزع بالطبقة العاملة والفلاحين ، بحل قضايا كبرى للبناء .

وقد عادت الاشتراكية بتحرير حقيقى على النساء . وقد فتح لهن ميدان واسع جدا لأجل تطوير نشاطهن الخلاق ، ومواهبهن وقدراتهن . وهن يمارسن العديد

من المهن التى لم تكن فى متناولهن قبلا ، ويشتركن بنشاط فى ادارة الدولة .

ان جميع الأمم والأقليات القومية فى الاتحـــاد السوفياتى تزدهر ، وقد حققت نجاحات جبــارة فى تطوير الصناعة والزراعة والعلم والثقافــة . لقــد وضعت الاشتراكية قيد العمل قــوة محركة جبارةهى الصداقة بين الشعوب .

لقد دخل لينين التاريخ بصفته مؤسسا لأول دولة اشتراكية فى العالم ، دولة العمال والفلاحين .

ان الادارة الأســـــاسية التى دمر شـــــغيلة بلادنا بواسطتها العالم القديم وحطموا مقاومة الطبقـــات المستثمِرة (بكسر الميم) ، كانت الدولة التى أسستها ثورة اكتوبر ، دولة ديكتاتورية البروليتاريا . وتبين التجربة بأن ديكتاتورية البروليتاريا يمكن ان تتخــذ وهى تتخذ اشكالا مختلفة . ولكن مهما كانت هــذه الأشكال ، فان السلطة السياسية للطبقة العاملة ، وعلى رأسها الحزب الشيوعى ، هى الشرط الضرورى والذى لا غنى عنه لبناء الاشتراكية .

ان الدولة الســـوفياتية ، التى نشـــأت كدولة لديكتاتورية البروليتاريا ، قد أصبحت دولة للشعب بأسره ، والمنظمة السياسية للشعب كله . مع قيـــام الطبقة العاملة بالدور القيادى .

لقد اعطت الاشتراكية الشعب ما لم يحصل عليه شغيلة أغنى البلدان الرأسمالية ، وهو التحرر من نير الراسماليين . والسوفياتيون لا يعـــرفون ما هـــو الاستثمار أو البطالة ، ولن يعرفوا ذلك أبداً .

لقد ازدادت الدخول الفعلية للعمال بمقدار ٥ ، ٦ مرات ، ودخول الفلاحين ٥ ، ٨ مرات ، منذ قيام الحكم السوفياتي . ان الاتحاد السوفياتي هو أول بلاد ضمنت دولتها التطبيب المجاني للمواطنين .

لقد دخل لينين التاريخ بصفته الزعيم المعترف به للبروليتاريا العالمية ، وللحركة الشيوعية العالمية . وبناء لمبادرته أنشئت الأممية الشيوعية الثالثة عام ١٩١٩ .

وتحت الراية الكفاحية للماركسية اللينينية اجتازت الحركة الشيوعية العالمية طريقها البطولية ، منذ ان كانت حفنة من الثوريين حتى أصبحت الجيش الجبار السائر في طليعة الحركة الثورية .

*

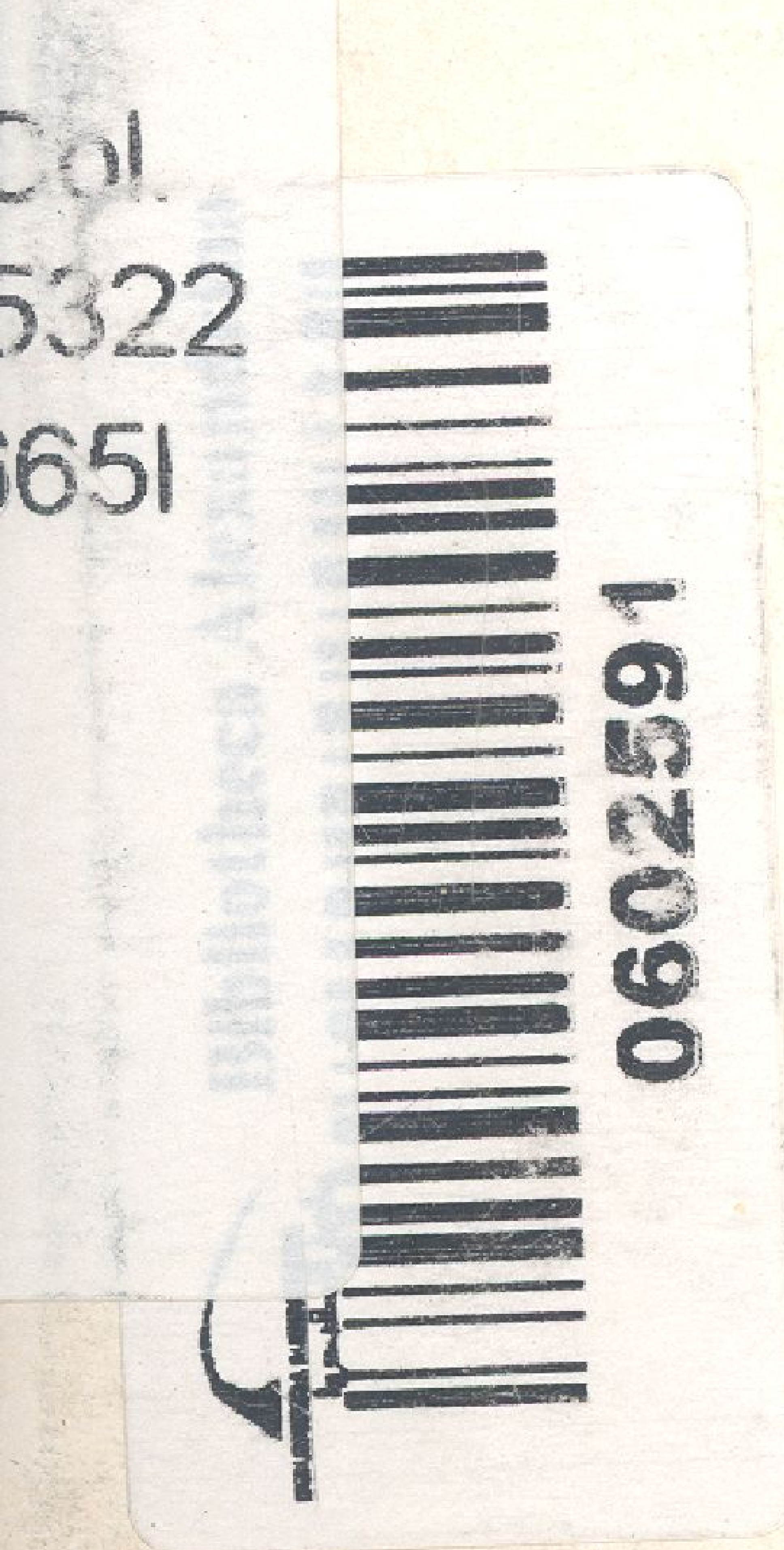
ان حب الشعوب للينين العظيم لا حدود له . وسيعيش الى الأبد في عقول وقلوب البشرية ، زعيما سياسيا واستاذا للتفكير ، ورجلا ذا نقاء خلقي ناصع وتواضع وبساطة عجيبين ، وطاقة ثورية لا ينضب معينها ، لا يهادن في المبدأ ، مفعما بنكران الذات ، وعديم الرحمة ازاء المستثمرين ، ومتعلقا تعلقا عميقا بالشغيلة .

ان أسم لينين خالد مثلما هي خالدة أفكاره وعمله .

ان معاصري لينين ، واولئك الذين أسعدهم الحظ برؤيته ، والعمل معه ، ومعرفته عن كثب ، يقولون عن حق بأن شخصيته تشكل نموذجا لانسان المجتمع الشيوعي .

ان اسم لينين ، وقضيته العظيمة وتعاليمه ستبقى حية الى الأبد .





(مطابع شركة الاعلانات الشرقية)